أجاثا كريستي

ساعة الصفر

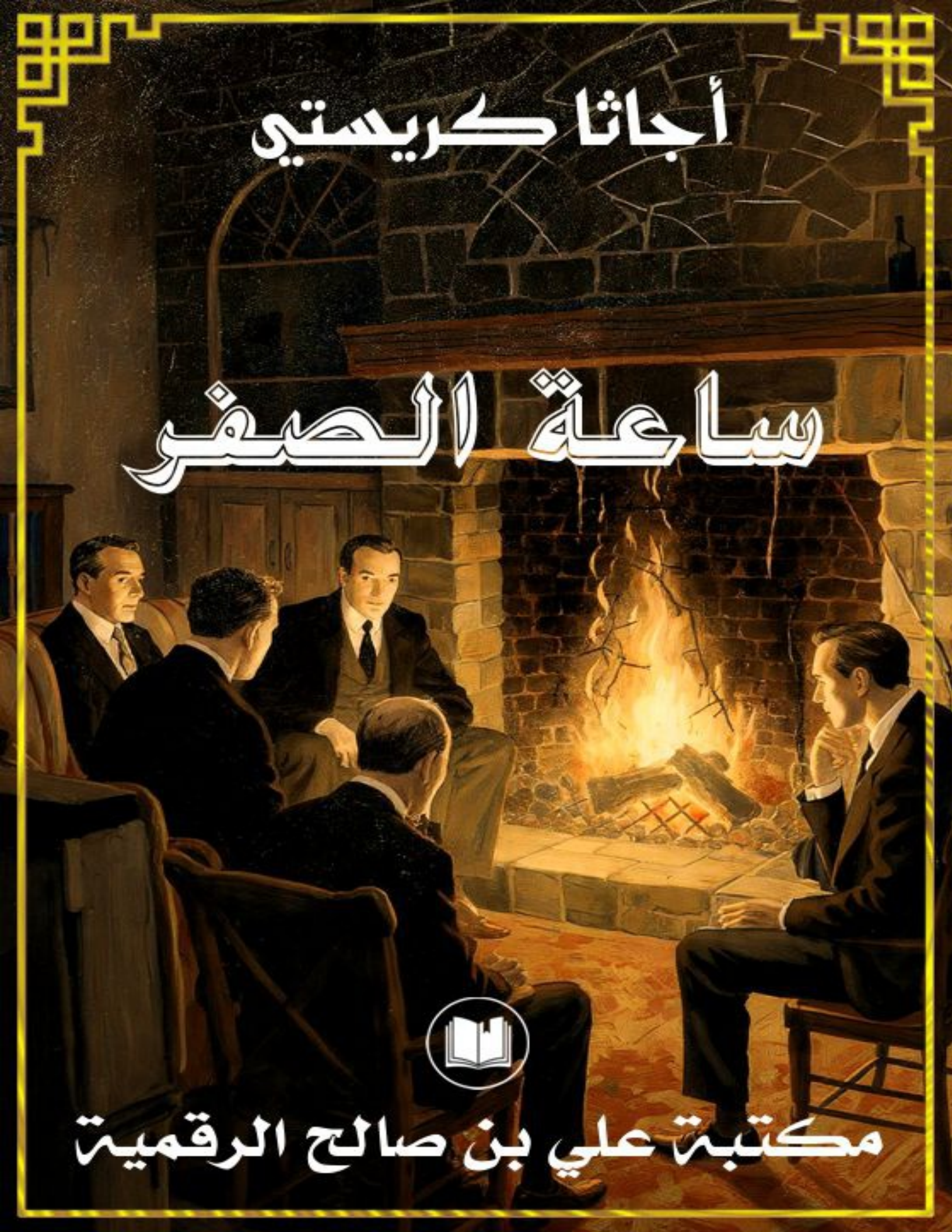

مكتبة علي بن صالح الرقمية

أجاثا كريستي

ساعة الصفر

رواية بوليسية

1944

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

الفصل الأول

كانت الجماعة التي جلست أمام المدفأة كلها تقريبا من رجال القضائ والقانون ،

كان هناك مارتندييل المحامي (ورافاس لورد وكيل النائب العام ودانليز المحامي الشابِ الذي برز اسمه في قضية كارستير والقاضي كليفر والمحامي لويس أحد صاحبيِ مكتب لويس وتريش المحاميين وسيد تريفز العجوز الذي ناهز الثمانين وكان تريفز أبرز عضو في مكتب كبير للمحامين ، واشتهر بأنه حسم الكثير من القضايا الدقيقة خارج المحكمة ووبأنه من أكبر المتخصصين في عالم الجريمة على الرغم من أنه اعتزل العمل منذ مدة طويلة فإنه لم يكن في انكلترا كلها رجل يحترم رجال القضاء آراءه كما يحترمون رأيه ،

كان إذا تكلم صمتت جميع الاصوات وأرهفت كل الآذان .

وكانِ حديث الجماعة التي جلست أمام المدفأة في ذلك المساء يدور حول قضية قتل كَثُرَ فيها اللغط في الأيام الأخيرة وقد فرغت محكمة جنايات أولد بايلي في ذلك اليوم من نظرها ، وأصدرت فيها حكما ببراءة المتهم ،

فتناولت الجماعة القضية بالتحليل والتعقيب والنقد الفني ،واتفقت الآراء على أن الادعاء أخطأ حين اعتمد كل الاعتماد على شاهد 1 فهيأ بذلك للدفاع فرصة أكبر ، وأن الدفاع عرف كيف يستغل شهادة الخادمة ...

وأن القاضي ينتمور لخص وقائع القضية تلخيصا لا غبار عليه ، ولكن الضرر قد حدث فعلا ، فإن المحلفين كانوا مقتنعين بصدق الخادمة ، ومتى اقتنع المحلفون بأمر تعذر تحويلهم عنه ...

أما شهادتة الطب الشرعي فكانت مجموعة من الألفاظ ، الغريبة والعبارات المعقدةل.. أن الأطباء الشرعيين لا يوجيبون عن الأسئلة بكلمة نعم او لا ،

وإنما يضيفون عبارات من شأنها أن تُبلبِل المستمع مثل قولهم ... هذا يمكن حدوثه في ظروف معينة او قولهم :هذا جائز لو أننَا راعينا كذا ...

وهدأت المناقشة شيئا فشيئا وخفت الأصوات وأحسوا جميعا في لحظة ما بإن هناك صوت لم يسمعوه ، وبدأت الانظار تتجه نحو السيد تريفز ... ولم يكن قد اشترك في الحوار ، فبات واضحا أن الجماعة تنتظر الكلمة الأخيرة الحاسمة من فم أبرز أعضائها وأصوبهم رأيا ،

وكان السيد تريفز يمسح نظاراته وهو شارد الذهن ، حين تنبه إلى صمتهم فنظر إليهم بحدة وقال : ماذا قلتم ؟ هل وجهتم إلي سؤالا ؟ ...

- كنا نتحدث عن قضية لامورن يا سيدي ..

- آه ، نعم ،نعم ، وأنا كنت أفكر في القضية أيضا .

فصمتوا جميعا وأرهفوا آذانهم فقال تريفز وهو لايزال يمسح زجاج عويناته : ولكن أفكاري جنحت الى الخيال ولعل السبب أني تقدمت في السن ، إن من حق الأنسان في مثل سني أن يجنح إلى الخيال أحيانا .

فارتسمت الحيرة على وجه المحامي لويس ولكنه قال : بالتأكيد يا سيدي .

فقال تريفز : لقد كنت أفكر في القضية ، لا من حيث وجهات النظر القانونية التي أثيرت فيها ، وهي وجهات نظر جدية جديرة بالاهتمام ولو قد صدر حكم مختلف لكانت هناك أسباب قوية تجيز استئنافه وإنما كنت أفكر فيها من حيث الأشخاص الذين لعبوا دورا فيها ،.

فبدأت الدهشة على وجوه المستمعين ذلك أن أحدا منهم لم يفكر في هؤلاء الأشخاص إلا من حيث صدقهم أو كذبهم كشهود ، ولم يجرأ أحدهم على التفكير في المتهم وهل هو بريء حقا كما قالت المحكمة أم إنه مذنب .

ومضى تريفز يقول : كنت أفكر في الآدميين ، في أحجامهم المختلفة وأشكالهم المتباينة وعقلياتهم المتنافرة .. لقد جاءوا من كل مكان ، من لانكشاير ومن اسكتلندا وجاء صاحب المطعم من إيطاليا وجاءت المُدرِّسة من غرب انكلترا وانصهروا جميعا في بوتقة الأحداث ، وجيء بهم جميعا إلى محكمةَ الجنايات في لندن ، في يوم أغبر من أيام شهر تشرين

الثاني نوفمبر ،

لقد قام كل منهم بدوره الصغير ، ثم اتخذت هذه الأدوار جميعا في النهاية صورة قضية أمام محكمة الجنايات .

وصمت قليلا ،وثم أخذ يدق ركبته بأنامله ثم استطرد قائلا : إنني أحب القصة البولسية الجيدة ولكن القصص جميعا تبدأ بداية خاطئة ، إنها تبدأ بجريمة قتل ، في حين إن جريمة القتل هي النهاية ، أما بداية القصة فهي قبل ذلك بكثير ، حين تتهيأ الأسباب وتبدأ الأحداث التي تسوق أناسا معينين ، إلى مكان معين في ساعة معينة ، إليكم مثلا شهادة الخادمة في قضية
اليوم ، لو لم تخطف الطاهية عشيقها لما تركت عملها الأول لتلتحق بخدمة أسرة

لامورن وتصبح شاهدة النفي الرئيسية في القضية ، وذلك الخادم المدعو جوزيبي أنطونيللي ، لقد جاء من إيطاليا خصيصا ليعمل مكان أخيه حتى ينعم أخيه بإجازة قصيرة ، وقد كان الأخ ضعيف البصر فلو أنه لم يحصل على إجازة لما رأى ما رآه جوزيني أنطونللي في خلال
الفترة القصيرة التي قضاها في خدمة الأسرة ، ولو لم يشغل الشرطي بمغازلة الطاهية بالمنزل رقم 48 لما غاب عن دركه ساعة وقوع الجريمة ، كل هذه الاحداث الصغيرة التي بدأها أشخاص مختلفون في أماكن مختلفة وأوقات مختلفة قد تصاعدت وتبلورت وانتهت إلى ما أسميه ساعة الصفر ، وفي ههذه اللحظة مرت بجسده رعدة سريعة فقال قائل : هل تشعر بالبرد يا سيد تريفز ؟

- لا ، لا ، يبدو أن أحدهم مشى فوق قبري كما يقولون ، على كل حال أظن الوقت قد حان لكي أعود إلى بيتي .

وأومأ برأسه تحية للجميع . وغادر الغرفة وهو يمشي بخطوات بطيئة .

ومرت فترة صمت طويلة قبل أن يقول رافاس لورد وهو يهز رأسه : مسكين السيد تريفز لقد أوهنته الشيخوخة .

فقال القاضي كليفر : إنه رجل ذو عقل جبار ،

قال اللورد : أعتقد أنه يعاني مرض في القلب وقد يسقط ميتا في أي لحظة .

فقال لويس : إنه يعتني بنفسه أشد العناية .

وفي هذه الأثناء كان السيد تريفز يستقل سيارة فخمة ذهبت به الى بيت في حي هادئ ، وهناك خف كبير الخدم لمساعدته على خلع معطفه ، وسار تريفز بعد ذلك إلى غرفة المكتبة حيث كانت النار تتلظى في المدفأة ، وكان فراش تريفز يحتل ركنا في قاعة المكتبة ، فقد حرص الرجل على ألا يرقى السلم الى الطابق الأول نظرا لحالته الصحية ، وجلس الرجل أمام المدفأة وشرع في قراءة الرسائل التي وردت إليه في ذلك اليوم ،

وكان فكره لا يزال مشغولا بالنظرية التي أدلى بها في قاعة النادي ، فقال لنفسه : من يدري ، لعل هناك الآن مأساة أو جريمة قتل في مرحلة الاعداد ، لو أنني الآن في سبيل كتابة قصة بوليسية لبدأتها برجل متقدم في السن ، يقرأ رسائله أمام المدفأة ،ويتجه دون أن يدري نحو ساعة الصفر ،.

وفض أحدى الرسائل والقى نظرة سريعة على مضمونها ويبدو أنه وجد فيها ما رده من عالم الخيال الى دنيا الحقيقة فقد تقلص وجهه فجأة وقال هذا امر مزعج حقا ، يحدث ذلك بعد كل هذه السنين لقد قُلبت مشروعاتي رأسا على عقب .

الفصل الثاني

أبطال المأساة

11 كانون الثاني يناير

تحرك الرجل بفراشه في المستشفى وكتم أنّة توجع كادت أن تفلت من فمه ونهضت الممرضة المشرفة على عنبر المرضى من مقعدها واقتربت من فراش الرجل وأعادت تنظيم وسائده ، وحركت جسد الرجل ليستقر في وضع مريح ، وتمتم الرجل بكلمة غير واضحة على سبيل الشكر ،

وكان يشعر بمزيج من الغضب والمرارة ويلعن في سره تلك الشجرة العجيبة التي نمت تحت الربوة فلم يفطن إلى وجودها ولعن أولئك العشاق المغفلين الذين يتحدون البرد والصقيع لينعموا بالخلوة فوق ربوة تطل على البحر ، لولا تلك الشجرة اللعينة وأولئك العشاق الحمقى لانتهى كل شيء ،

لم يكن الأمر سيكلفه اكثر من قفزة الى الماء المثلج العميق ومقاومة وجيزة ثم تأتي الغيبوبة وتنتهي حياة عقيمة لا معنى لها ولا هدف ولا قيمة ،

والآن أين هو ؟ إنه طريح في الفراش في المستشفى ومصاب بكسر في أحدى ضلوعه ومن المحتمل جدا أن يُقدّم للمحاكمة بتهمة محاولة الانتحار ، قبّحهم الله ، إنها حياته هو أليس كذلك ؟

ولو قد نجحت محاولته ، لَواروه التراب بكل الاجلال والاحترام باعتباره انسان بائس فقد عقله.

حقا ، !!! إنه لم يكن في وقت ما أعقل مما كان حين ألقى بنفسه من فوق الربوة لتتلقفه تلك الشجرة اللعينة وتكسر ضلعه ، وإقدامه على الانتحار كان الشيء الوحيد المعقول الذي يجب أن يفعله رجل في مثل مركزه ، رجل اعتلّت صحته وهجرته زوجته وفقَد عمله وأصبح بلا مال أو صحة او أمل والآن هاهو في موقف يبعث على السخرية وسوف ينحي عليه القاضي باللائمة لأنه فعل الشيء الوحيد المعقول بحياته التي هي ملك خاص له لوحده .

وأفلتت من فمه أنه عميقة فأسرعت اليه الممرضة مرة أخرى ، كانت في مقتبل

العمر ذات شعر أحمر ووجه لا يعبر عن شيء سألَتْه : هل تتألم كثيرا يا سيد ماكويرتر ؟

- لا .

- سأعطيك عقارا منوما .

- لا لا تفعلي .

- ولكن ،

- أتظنين أني لا أستطيع تحمل الألم والأرق ؟

فارتسمت على شفتيها ابتسامة رقيقة وقالت : لقد سمح الطبيب بأن تتناول عقارا منوما .

- لا يهمني الطبيب وما يسمح به .

فنظمت الممرضة الاغطية ووضعت كوب من عصير الليمون على المائدة الصغيرة بجوار الفراش .

فقال وقد أحس بالخجل من خشونته : آسف فقد كنت فظا .

- لا عليك .

وضايقه أنها لم تعبأ قليلا او كثيرا بخشونته ونوبات غضبه وغاب عنه أنها كممرضة ترى من واجبها أن تنأى بنفسها عن مثل هذه الانفعلات وإنها تعامله كمريض ، لا كرجل .

واستطردت قائلة : لا عليك ستكون بحال أفضل غدا صباحا .

فصاح : تبا لَكُنّ أيتها الممرضات إنكن مجردات من كل شعور شعور إنساني .

- نحن أعرَف منك بمصلحتك .

- ما يغيضني منكن ومن المستشفى ومن الدنيا كلها هو التدخل المستمر في شؤون الغير بدعوى أنكن تعرفن مصلحتهم اكثر منهم ، إنني حاولت الانتحار هل تعلمين ذلك ؟

- نعم .

- ولا شأن لأحد بي سواء ألقيت بنفسي من فوق ربوة او تحت قطار ، إن صلتي بالحياة قد انتهت تماما .

فقلبت شفتها ولم تجب .

صاح : لماذا لا أستطيع أن أقتل نفسي متى شئت ؟

- لأن ذلك خطأ .

- لماذا ؟

فنظرت اليه في ارتياب ولم تجد ما تعبر به عن شعورها ولكنها قالت بهدوء : على الانسان أن يعيش سواء أراد او لم يرد .

- وماذا يجعلك أنتِ تعيشين ؟

- لعل هناك من هو بحاجة إلي .

- إنني أختلف عنْك في ذلك فليس في الدنيا كلها شخص واحد يهمه أن أعيش او أن أموت .

- اليس لك أقارب ، اليس لك أم او أخت ؟

- لا ، كانت لي زوجة هجرتني ، وبحق وجدت أني انسان تافه لا فائدة منه .

- ولكنه من المؤكد أن لك أصدقاء ؟

- لست الرجل الذي يأنس اليه الأصدقاء ، أصغِ إلي أيتها الممرضة سأروي لكِ قصة ، إنني كنت رجلا سعيدا في وقت ما ، كانت لي وظيفة طيبة وزوجة جميلة وذاتَ يوم وقع حادث سيارة ، كان صاحب العمل يقود السيارة وكنت راكبا فيها معه فطلب مني أن أشهد بأنه كان يقود السيارة بسرعة أقل من ثلاثين كيلومترا حين وقع الحادث ، والحقيقة أنه كان يقود بسرعة تزيد على 50 كيلومترا ولم يسفر الحادث عن مقتل احد ولكنه أراد أن يكون موقفه سليما أمام شركة التأمين ، غير أنني رفضت أن أشهد بما أراد ، رفضت أن أكذب لأنني أمقت الكذب .

- اظن أنك كنت على حق .

- أتظنين ذلك ؟ ولكن ما قولك في أن أصراري على الحق أفقدني وظيفتي ! لقد حنق علي صاحب العمل ففصلني وبذل قصارى جهده ونقوده لكي لا أحصل على عمل آخر ، وضاقت زوجتي ذرعا بتعطيلي فهربت مع رجل من أصدقائي كان يشغل وظيفة طيبة وينتظره مستقبل باهر بينما كنت انا أتدهور باستمرار ، فأفرطتُ في الشراب وأضعت بذلك كل فرص العمل وانتابتني الأمراض وقال الطبيب إني لن أَسترد صحتي فلم أجد بعد ذلك ما أعيش من أجله ، وكان أسهل حل وأيسره أن أتخلص من حيا ةلا جدوى منها لأحد .

فغمغمت الممرضة قائلة : ما أدراك ؟

فضحك ، أضحكه عنادها الساذج وقال لها : يا ابنتي العزيزة ما فائدتي الآن لأي

انسان ؟

فأجابت بشيء من الارتباك : من أدراك ؟قد تفيد أحدا يوما ما .

- يوما ما ؟ لن يكون هناك يوم ما وفي المرة القادمة سأكون حريص على ألا أفشل .

- في المرة القادمة ؟ لا إنك لن تُقْدِم على الانتحار مرة أخرى .

- ولِمَ ؟

- لأن الناس قلما يُقْدِمون على الانتحار مرتين .

فهَمّ بأن يحتج ولكن أمانته الفطرية منعته من الكلام وراح يتساءل : هل كان في نيته حقا أن يعيد الكرة ؟ وشعر فجأة بأنه لن يستطيع لغيرما سبب او ربما كان السبب ما قالته الممرضة بحكم خبرتها وهو أن الناس قلما يُقْدِمون على الانتحار مرتين ، بيد نه أراد أن يرغمها على الاعتراف بحقه في الانتحار من حَيث المبدأ .

قال : على كل حال فمن حقي أن أفعل بحياتي ما أريد .

قالت : ليس ذلك من حقك ،

- ولمَ أيتها الفتاة العزيزة ؟

فاحمر وجهها وارتبكت لحظة يسيرة ولكنها ما لبثت أن قالت : أنت لا تفهم إن الله قد يريدك لأمر ما .

فبهت ولكنه لم يشأ أن يزعزع إيمانها الصبياني وقال ساخرا : لعله يريدني أن أمسك يوما ما بجواد جامح فأمنعه من أن يسحق طفلا ذهبي الشعر .

- إن وجودك في مكان معين في وقت معين حتى لو لم تفعل شيئا قد يؤدي ،،

وتلعثمت وازداد وجهها احمرارا وأردفت : لا أستطيع التعبير جيدا ، إنني أعني مجرد وجودك في مكان ما في وقت ما حتى ولو لم تفعل شيئا قد يكون في ذاته عملا عظيم الأهمية دون أن تدرك .

14 شباط فبراير

لم يكن بالغرفة سوى شخص واحد ، وكان الصوت الوحيد الذي يُسمَع هو صوت القلم الذي يكتب به ذلك الشخص على ورقة أأمامه ولم يكن هناك أمن يقرأ الكلمات التي كتبها ولو كان هناك من يقرأها لما صدّق عينيه لأن ما كتبه ذلك الشخص كان مشروعا واضحا مفصلا لارتكاب جريمة قتل ،

هناك ظروف يشعر فيها الجسد بأن هناك عقلا يحكمه ويسيطر عليه على أعماله وعلى حركاته ، وظروف أخرى يشعر فيها العقل بسيطرته على الجسد وبقدرته على تسخيره في تنفيذ أغراضه .

وقد كان الشخص الذي نحن بصدده يمر بالحالة الثانية ، كان مجرد عقل جبار له هدف واحد ، وهو تدمير إنسان آخر ، ولتحقيق ذلك الهدف راح ذلك الشخص يضع على الورقة خطة محكمة مرسومة بعناية ومحسوب فيها حساب جميع الاحتمالات الممكنو ومحددا فيها الزمن والمكان والضحية ، ورفع الشخص رأسه وقرأ الورقة بعناية وارتسمت على شفتيه ابتسامة شيطانية ولا يمكن أن تكون هذه الابتسامة لإنسان عاقل تماما ،

وأعاد الشخص تلاوة الورقة واكتشف أنه أغفل التاريخ ، فتناول القلم وكتب تاريخ يوم في شهر أيلول سبتمبر ثم قهقه ضاحكا ومزق الورقة ، وألقى بأجزائها في الموقد وظل يرقبها حتى احترقت تماما ، احترقت الورقة ولكن الخطة ظلت في عقل صاحبها .

8 آذار مارس

جلس المفتش باتل إلى مائدة الفطور وبيده الرسالة التي قدمتها إليه زوجته وهي تبكي ، لم يبدُ عليه أي انفعال ، كان وجهه دائما جامد لا يعلوه أي تعبير وكأنه نحت من خشب .

قالت زوجته وهي تنشج بالبكاء : لا أستطيع أن أصدق إن سيلفيا تفعل ذلك .

كانت سيلفيا أصغر أولادها الخمسة وهي في نحو السادسة عشر من عمرها وكانت طالبة بمدرسة قريبة من ميدستون وكانت الرسالة من اللآنسة أميفري ناظرة المدرسة المذكورة وقد كتبتها بأدب ووضوح ولباقة وجاء فيها إنه حدثت بالمدرسة في الفترة الأخيرة عدة سرقات صغيرة حيرت إدارة المدرسة ، ثم اتضحت الأمور أخيرا واعترفت سيلفيا باتل بالسرقة وإن الناظرة تود مقابلة السيد باتل في أقرب فرصة ، لبحث الموقف .

وطوى المفتش باتل الرسالة ووضعها في جيبه وهو يقول لزوجته : دعي الأمر لي يا ماري .

ونهض من مكانه ودار حول المائدة وربت على كتف زوجته واستطرد قائلا : لا تنزعجي أيتها العزيزة سيكون كل شيء على ما يرام .

وبعد ظهر ذلك اليوم اجتمع المفتش باتل بالآنسة أميفري في مكتبها وكانت الآنسة أميفري مربية ناجحة ذات شخصية قوية وثقافة عصرية واسعة .

قالت للمفتش في معرض الحديث الذي دار بينهما : المهم أن نعالج الموضوع بحكمة وأن نضع نصب أعيننا مصلحة الفتاة وحدها إذ يجب ألا يتأثر مستقبلها أو حياتها بأي حال أو تشعر في أي وقت بعقدة الذنب وإذا وُجه إليها لوم أو تعنيف على الاطلاق فيجب أن يكون بلباقة وبأقل قدر ممكن ، وينبغي قبل كل شيء حقيقة الأسباب الكامنة وراء هذه السرقات الصغيرة ، قد يكون أحد الأسباب شعورها بمركب نقص فإنها ليست بارعة في الألعاب الرياضية ولعلها أحست برغبة خفية في أن تلمع في مجال آخر ، فلذلك يجب أن نعمل بحذر شديد ،

وقد رغبتُ في مقابلتك أولا على انفراد لكي أوصيك بالرفق بها ، وأني أكرر ما قلته أولا إن أهم شيء هو التوصل إلى معرفة الدوافع وراء هذه السرقات الصغيرة .

فأجاب الرجل بهدوء وهو يقيِّم ناظرة المدرسة بنظرة فاحصة : إنني ما جئت إلا من أجل ذلك .

- لقد عاملتها بكل عطف ورفق .

- هذا كرم منك يا سيدتي ، حبذا لو رأيتها الآن إذا لم يكن هناك مانع .

فرافقته إلى غرفة صغيرة وقالت له : إنها سترسل إليه ابنته .

وعندما همت بمغادرة الغرفة استوقفها باتل قائلا : لحظة يا سيدتي ، كيف عرفتِ أن سيلفيا هي المسؤولة عن السرقات ؟

- عرفت ذلك بوسائلي السايكولوجية .

- ولكن أين الأدلة يا آنسة ميفري ؟

- إنني عرفت ما تعني يا سيد باتل ، إنك تطلب أدلة بالمعنى المتعارف عليه ، في مهنتك كشرطي ولكن الوسائل السايكولوجية والتحليل النفسي أصبحا شيئا معترفا به في علم الجريمة ، وأؤكد لك أنه لم يحدث أي خطأ أضف إلى ذلك أن سيلفيا اعترفت بكل شيء بمحض إرادتها .

- نعم ،نعم أعلم ذلك ، إني أردت أن أعرف كيف استدللتِ عليها .

- عندما تفاقمت حوادث السرقة دعوت الطالبات وطرحت عليهن الحقائق وتفرستُ في وجوههن وأنا أفعل ذلك ، ففوجئتُ بالاتعبيرات التي ظهرت واضحة على وجه سيلفيا ، وكانت تعبيراتها تنم عن الارتباك وإحساس بالذنب فعرفت على الفور إنها المذنبة ولكني لم أواجهها بالاتهام ، وإنما تركتها تعترف من تلقاء نفسها وذلك بأن أعددتُ لها اختبارا بسيطا على دلالات الألفاظ .

فهز باتل رأسه دلالة على أنه لم يفهم ، ونظرت إليه الآنسة أميفري وترددت لحظة ثم غادرت الغرفة .

وعندما فُتح باب الغرفة مرة أخرى كان باتل يطل من أحدى النوافذ فالتفت وراءه ببطء فأبصر ابنته ، كانت طويلة سمراء وعلى وجهها آثار الدموع .

قالت في خجل : هاأنا ذا يا أبي .

فنظر إليها باتل طويلا وهو شارد الذهن ، ثم تنهد وقال : ما كان ينبغي أن أُلحقكِ بهذه المدرسة ، وإن ناظرتها امرأة حمقاء .

فنسيت الفتاة متاعبها وتملكتها الدهشة وهتفت : الآنسة أميفري إنها رائعة ، الجميع يقولون ذلك .

- إذن فهي ليست حمقاء تماما مادامت قد استطاعت أن تترك في نفوسكن هذا الانطباع ، وعلى كل حال فإن هذه المدرسة لا تلائمكِ رغم أن ما حدث لك هنا كان يمكن أن يحدث في أي مدرسة أخرى .

فعقدت الفتاة أصابعها ونكست رأسها وهي تقول : - أنا آسفة يا أبي ، أنا آسفة حقا .

- يجب أن تكوني آسفة ، ، اقتربي مني .

فتقدمت نحوه ببطء وأمسك ذقنها بيده الضخمة ونظر في وجهها مليا ، ثم قال بلطف : إنكِ عانيتِ الكثير أليس كذلك ؟

فاغرورقت عيناها بالدموع .

قال ببطء : كنت أعرف منذ وقت طويل إن بك عيبا ، أكثر الناس لهم مواطن ضعف من نوع ما ، ومواطن ضعف الأطفال تبدو دائما واضحة وفي استطاعة الإنسان بسهولة أن يعرف الطفل الجشع أو الطفل السيئ الطباع أو المشاكس ، ولكنكِ كنت دائما طفلة هادئة وديعة دمثة الخلق وكان ذلك يهمني ويقلقني فإن صاحبَ العيب الخفي كثيرا ما يتحطم من أول صدمة .

- مثلي .

نعم مثلكِ ، فإنك تهاويتِ تحت الضغط بسرعة لم أشهد لها مثيل .

فقالت الفتاة فجأة : أظن أنك قابلت الكثير من اللصوص في حياتك العملية يا أبي .

- نعم ، وأعرف كل شيء عنهم لذلك أعتقد عن يقين لا كأب فإن الآباء لا يعرفون الكثير عن أولادهم وإنما كشرطي إنك لستِ لصة وإنك لم تسرقي شيئا من هذه المدرسة ، فإن اللصوص على نوعين ، نوع يستَسلم للإغراء الفجائي القوي ونوع يأخذ ما ليس له بطريقة تلقائية ، وأنتِ لستِ من هذين النوعين ، لأنكِ لست لصة لكنكِ كذابة من طراز غير عادي ،

لقد اعترفتِ بكل شيء أليس كذلك ؟

- حسنا .

- اصغي إلي ، يحكى أن إحدى القديسات تعودت أن تملأ سلتها خبزا لتوزعه على الفقراء ولم يعجب ذلك زوجها ، واتفق أنه قابلها في الطريق وسألها عما في سلتها ففقدت أعصابها وقالت : إن في السلة زهورا .

فرفع الزوج الغطاء فرأى زهورا في السلة . كانت معجزة ، والآن لو أنك كنت قديسة وخرجتِ بسلة من الزهور وقابلتِ زوجك وسألكِ عما في السلة ستفقدين أعصابك وتقولين أن بالسلة خبزا .

وتريث لحظة ثم قال بلطف : ذلك ما حدث أليس كذلك ؟

صمتت الفتاة وقتا طويلا ثم نكست رأسها .

فاستطرد قائلا : أخبريني يا فتاة ماذا حدث بالضبط ؟

- إنها دعتنا جميعا وألقت علينا كلمة ولاحظت أنها تنظر إلي طول الوقت وأدركتُ أنها ترتاب فيّ ، وشعرت بحمرة الخجل تصبغ وجهي ورأيت بعض الفتيات ينظرن إلي ، ثم راح غيرهن ينظرنن إلي ويتهامسن ، كان من الواضح أنهن جميعا يعتقدن أنني أنا اللصة ، وفي المساء دعتني الآنسة ميفري مع بعض الفتيات وشرعنا في لعبة تعتمد على الألفاظ ،

كانت تقول عبارة ونحن نبحث عن جوابها وكانت عباراتها جميعا تهدف إلى معنى واحد ، فقد فهمت هذا المعنى وأصابني نوع من الشلل ، وحاولت ألا أخطئ وأن أصْرِف ذهني عن المعنى الذي تهدف إليه ، بالتفكير في أشياء أخرى كالزهور والطيور ولكِن الآنسة ميفري كانت تتفرس في وجهي بعينين كعيني الصقر ، ونظراتها تكاد أن تنْفذ إلى أعماقي ، وأخذ الموقف يزداد سوءً لحظة بعد أخرى .

وفي أحد الأيام دعتني إليها وتحدثت إلي برفق شديد وبأسلوبٍ من يعرف بواطن الأمور ، فتداعيت واعترفت بالسرقة وأحسست بعد الاعتراف كأن عبءً ثقيلا قد زال عن صدري .

فهز الرجل رأسه في بطء وقال : هكذا ؟

- هل فهمت يا أبي ؟

- لا يا سيلفيا لم أفهم ، لأنني من طينة أخرى غير طينتك ولو طلب إلي أحد أن أعترف بشيء لم أفعله فإنني أبادر بلكمة تشوه وجهه ، ولكن لا بأس المهم الآن أن نجلو هذا الموقف القذر ، أين الآنسة ميفري .

كانت الآنسة ميفري تتسكع خارج الغرفة لكن الابتسامة تلاشت عن شفتيها حين قال

لها المفتش باتل بصراحة : إنني أطالبكِ إنصافا لابنتي أن تستدعي البوليس المحلي للتحقيق في هذا الموضوع .

- ولكن يا سيد باتل إن سيلفيا نفسها ...

- إن سيلفيا لم تمس شيئا لا يخصها .

- إنني أفهم شعورك كأب .

- ولكني لا أتكلم كأب ، وإنما أتكلم كشرطي ، اطلبي البوليس لمساعدتكِ في إماطة اللثام عن المسؤول الحقيقي في هذه الحوادث ، وكوني مطمئنة إلى كياستهم وكتمانهم وأنا واثق من أنكم ستجدون الأشياء المفقودة مخبأة في مكان ما وعليها بصمات أصابع المسؤول ، إن صغار اللصوص لا يستخدمون القفازات .

أما الآن فسأصطحب ابنتي وإذا وجد البوليس دليلا يُدينها فإنني على استعداد لقتيادها بنفسي إلى المحكمة لتنال جزائها ، أنا مطمئن لبراءتها .

وبعد نحو خمس دقائق كان يستقل سيارته مع ابنته وقبل أن تتحرك السيارة سأل الفتاة : من الفتاة ذات الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين والخدين الموردين التي رأيناها في الدهليز ؟

- إنها أوليف باسونز .

- لن أندهش إذا ظهر أنها لصة .

- لماذا هل كان يبدو عليها الخوف ؟

- لا ، كانت هادئة أكثر مما ينبغي ولقد رأيت من أمثالها في محاكم البوليس ، ولكنني أراهن على أنها ليست من الطراز الذي يعترف بسهولة .

فتنهدت الفتاة وقالت : يُخيّل إلي أني كنت في حلم مزعج ، أنني آسفة يا أبي على أني تصرفت على هذا النحو .

فقال وهو يربت على كتفها : لا عليكِ يا بنيتي ، إن الأقدار تبتلينا بمثل هذه الأمور لاختبارنا ..

1 نيسان إبريل

كانت الشمس تصل بيت نيفل سترينج في هايند هيد نارا حامية رغم أن اليوم أحد أيام نيسان أبريل لكنه كان يعيد إلى الأذهان أيام القيظ في شهر حزيران .

هبط نيفل سترينج درجات السلم وتحت أبطه أربعة مضارب مما تُستعمَل في لعبة

التنس ، ، ولو قد طُلبَ إلى إحدى اللجان أن تختار من بين الإنجليز نموذجا للرجل السعيد الحظ الذي لاَ ينقصه شيء لوقع اختيارها على نيفل سترينج ، فلقد عرفته الجماهير كرياضي ولاعب تنس من الطراز الأول ، وعرفته كسبّاح ولاعب جولف ومتسلق للجبال ، وكان فضلا عن ذلك في الثلاثين من عمره ، وينعم بصحة جيدة ولديه وجه وسيم وثروة طائلة ، ولديه زوجة جميلة اقترن بها أخيرا ، وهو فيما يعلم الناس إنسان سعيد لا يعرف من هموم الحياة ما يعرفه سواه .

هبط نيفل درج السلم واجتاز الصالة وخرج إلى الشرفة حيث كانت زوجته كاي تجلس بين الوسائد على أريكة كبيرة وبيدها قدح من عصير البرتقال ، كانت كاي في نحو الثالثة والعشرين من عمرها ذات قوام فاتن وجمال غير عادي ، عيناها سوداوان وشعرها أحمر وبشرتها بيضاء كالثلج .

هتف نيفل حالما رأها : ماذا عندك للفطور أيتها الحسناء ؟

فأجابت : بيض ولحم مقدد وخبز وزبدة وعصير .

- هذا رائع .

تناول نيفل فطوره واحتسى قدحا من القهوة ولم يدر بين الزوجين حديث إلى أن قالت كاي : انظر إلى الشمس يا نيفل ، هل رأيتَ في انكلترا يوما أجمل من هذا ؟

كانا قد عادا لتوهما من رحلة في جننوب فرنسا ، تناول نيفل أحدى الصحف وألقى نظرة سريعة على عناوين الصفحة الأولى ومثلها على الصفحة الرياضية ثم نحى الصحيفة جانبا ، وأخذ بعض رساءله وكانت معظمها إعلانات ونشرات .

قالت كاي : إن ديكور الصالة لا يعجبني ، إنه يحتاج إلى تعديل ، ما رأيك ؟

- افعلي ما تشائين أيتها الحسناء .

- وفي هذه المناسبة لقد دعتنا شيرلي لرحلة إلى النرويج على ظهر يختها في حزيران القادم .

- أليس من المحزن ألا نلبي هذه الدعوة ؟

نظرت إليه كاي من ركن عينها بحذر ، واستطردت قائلة في أسى : كم كنت أود الإشتراك في مثل هذه الرحلة .

فعبرت وجه نيفل سحابة مظلمة ولم يُجب

قالت كاي : هل من الضروري أن تذهب إلى كامللا وقصرها العتيق ؟

قطب نيفل حاجبيه وأجاب : نعم ، اصغي إلي يا كاي إننا ناقشنا هذا الموضوع مرارا قبل الآن ، قلتُ لك إن السيد ماتيو كان وصيا علي وإن زوجته كامللا أشرفت على

تربيتي مذ نعومة أظافري ، فبيتهما في جالزبونيت هو بيتي ومسقط رأسي .

- حسنا إذن لابد مما ليس منه بد ، وعلى كل حال إن ثروتها ستؤول إلينا بعد موتها ، فلا مانع من أن نحتمل وأن نصبر على بعض المضايقات .

- ليست هناك مضايقات ، ثم أن لا سلطان لها على الثروة التي ستؤول إلينا ، إنها ثروة السيد ماتيو ، وقد أوصى بها لها على أن تؤول إلي بعد موتها ، فالمسألة ليست مسألة ميراث ، إنها مسألة عاطفية بحتة ، ألا تفهمين ؟

- هل تعلم لماذا أنفر من الإقامة في قصر كامللا يا نيفل ، أنني أنفر منها لأنهم يكرهونني هناك فالسيدة تريسليان تنظر إلي من عليائها ، وماري إيلدن تتجنب النظر إلي وهي تحدثني ، إن الإقامة تطيب لك هناك لأنك لا ترى ما يحدث ، إنهم يعاملونك دائما بأدب .

- وما كنت أطيق أن يعاملوك بغير ذلك.

فقالت وهي تنظر إليه من ركن عينها وأهدابها السوداء الطويلة تخفق بسرعة : إنهم مهذبون تماما ولكنهم يعرفون كيف يثيرونني ، إنهم ينظرون إلي كدخيلة .

- ذلك أمر طبيعي فلا لوم عليهم .

ونهض واقفا وأولاها ظهره وراح يملأ عينه من منظر الطبيعة .

فقالت وصوتها يرتجف قليلا : نعم ذلك أمر طبيعي لأنهم كانوا يحبون أودري المهذبة الباردة التي لا لون لها ، إن كامللا لن تغفر لي حلولي مكانها .

- يجب ألا تنسي أن كامللا قد تجاوزت السبعين وهي من جيل لا يقر الطلاق ، وهي رضيت بالأمر الواقع رغم حبها لأودري وعطفها عليها .

- إنهم يعتقدون أنك كنت تسيء معاملتها .

قال بصوت خافت : أظن أنهم على حق .

لكن كاي سمعته فقالت في غضب : لا تكن مغفلا يا نيفل ، إن أودري أحدثت حولها ضجة مفتعلة لكي تثير عطفهم عليها .

- إن أودري لم تحدث أي ضجة .

- أعني أنها كانت مريضة ، وكانت تبدو كسيرة القلب ، حزينة فأثارت عطف الجميع عليها ، تلك هي الضجة التي أعنيها ، إن أودري ليست من أولئك الذين يتقبلون الهزيمة بصدر رحب ، والرأي عندي إن الزوجة التي لا تستطيع الحفاظ على زوجها ينبغي لها أن تتخلى عنه بسماحة ورضا ، والواقع إن ه لم يكن بينكما أي صفة مشتركة ، فهي لا تُقبِل على الألعاب الرياضية التي تحبها أنت ، وحالتها الصحية كانت لا تسمح

لها بالقيام بأي نشاط ، كانت أشبه بخرقة مهلهلة ، ولو أحبتك حقا لكانت وضعت سعادتك في المكان الأول ولسرها أن تراك سعيدا مع امرأة أخرى تلائمك .

فقال وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة : دعيني أُحيِّ فيك السماحة والخلق الرياضي .

فضحكت كاي واحمر وجهها وقالت : ربما أكون قد بالغت إنما أردت أن أقول على الإنسان أن يقبل الواقع .

- لقد قبلت أودري الواقع وطلقتني لكي أستطيع الاقتران بكِ .

- أعلم ذلك ولكن ...

- إنكِ لم تفهمي أودري قط .

هذا صحيح ولعل السبب يعود إلى كونها مخلوقة غامضة لا يمكنك أن تعرف فيما تفكر ، إنها تخيفني في بعض الأحيان ، ربما لأنها خارقة الذكاء .

- أعتقد أنكِ على حق أيتها الحبيبة البلهاء .

فضحكت كاي وقالت : لماذا تصفني بالبلهاء ؟

وابتسما واقترب منها نيفل وقبل عنقها وهو يتمتم : بلهاء وفاتنة .

- وطيبة القلب تضحي برحلة جميلة على ظهر يخت وتذهب إلى قصر عتيق يضايقها فيه أقارب زوجها .

قال وهو يعود إلى مقعده : الواقع أنني لا أرى ما يدعونا إلى التخلف عن رحلة شيرلي إذا كنتِ تتوقين إلى هذه الرحلة حقا .

فنظرت إليه في دهشة وهي لا تصدق ما تسمع وقالت : وماذا عن قصر كامللا ؟

نستطيع الذهاب إليه في شهر أيلول .

- ولكن يا نيفل ...

فقاطعها قائلا : يجب أن نُسقط من حساباتنا شهري تموز وآب ففيهما تُعقَد مباريات التنس السنوية التي تنتهي في الأسبوع الأخير من شهر آب .

- كل هذا حسن ولكني أعتقد أنها اعتادت أن تذهب إلى قصر كامللا في شهر أيلول من كل عام ،

- من تعنين أودري ؟

- نعم ، ولكني أظن السيدة تريسليان لن تمانع في مطالبتها بإرجاء زيارتها إلى وقت آخر .

- لماذا ؟

فنظرت إليه بارتياب وقالت : هل تعني أننا نستطيع أن نتواجد معها هناك في نفس الوقت ، يا لها من فكرة عجيبة .

- وأي عجب في هذا ، كثير من الناس يفعلون ذلك في هذه الأيام ، لماذا لا يكون بيننا جميعا نوع من الصداقة ، ذلك يجعل الامور أكثر يسراً ، إنتِ نفسكِ قلتِ ذلك منذ بضعة أيام .

- أنا ؟!

- نعم ، ألا تذكرين كنا نتحدث عن السيد هاوس وعن الصداقة العجيبة بين زوجته الحالية وو=زوجتهالسابقة ، فقلتِ هي هذه الطريقة المتحضرة المعقولة للنظر إلى الأمور .

- ولكني لا أعتقد أن أودري تفكر على هذا النحو

- هراء .

- ليس هراءً ، أنت تعلم كم كانت أودري تحبك وسوف لن تطيق رأيتنا معا .

- أنتِ مخطئة يا كاي ، إن أودري ترحب بصداقتنا .

ونظرت إليه بارتياب فارتبك قليلا ثم سعلَ وقال : في الواقع إني قابلتها مصادفة أمس في لندن .

- إنك لم تذكر لي ذلك .

- لم أذكره لك لأنه كان مصادفة بحتة ، كنت أمر بهايدباك فرأيتها مقبلة نحوي ولم يكن من اللياقة أن أعرِض عنها أليس كذلك ؟

- استمر .

- حييتها وسرنا قليلا ثم جلسنا على أحد المقاعد وتحدثنا في أمور مختلفة وسألتني عنكِ .

- كانت لفتة كريمة .

- وتحدثنا عنك وكانت ظريفة إلى أبعد حد ، وخطر لي حينئذ أنه ليس ثَمةمانع من أن تصبحا صديقتين وأن أنتهز فرصة إقامتنا في قصر كامللا لتوثيق أواصر هذه الصداقة .

- خطر لك ذلك ؟

- نعم ، كنت أنا وحدي صاحب الفكرة .

- لكنك لم تذكر لي قط كلمة واحدة عن هذه الفكرة .

- كانت فكرة بنت ساعتها .

فقالت بجفاء : وهل وافقت أودري على فكرتك ؟

وأحس نيفل باستيائها وقال : ماذا دهاكِ أيتها الحبيبة ؟

- لا شيء سوى أنك والعزيزة أودري عما إذا كنت أوافق على هذه الفكرة الرائعة .

- ولماذا لا توافقين بحق الساماء ؟ أنتِ بنفسكِ قلتِ منذ أيام إنّ ...

- انسَ ما قلت ، إنني كنت أتكلم عن أناس آخرين لا عن أنفسنا ،

- إذا كنت لا توافقين بسبب الغيرة فإن الطرف الآخر هو صاحب الحق في أن يغار ، ولا تنسي أننا عاملنا أودري بقسوة ،، لا لا ، أنا لا أعنيكِ أنت ، أعني أنني عاملتها بقسوة وإذا استطعنا أن نكسب صداقتها فإنني أصبح أنعم بالا وأطَيب نفسا .

- هل أفهم من ذلك أنك لم تكن ناعم البال منذ تزوجتني ؟

- ماذا تعنين أيتها الحبيبة الحمقاء ، على العكس إنني كنت أسعد إنسان في الوجود ولكن ...

- دائما كلمة لكن .

- اصغي إلي يا كاي ، هل تغارين من أودري .

- لا لا ، أغار منها ولكني أخشاها ، إنك لا تعرف أودري يا نيفل ، .

- كيف لا أعرفها وقد عاشرتها ثماني سنوات .

- أؤكد لك أنك لا تعرفها ..

30 نيسان أبريل

صاحت السيدة تريسليان التي يدعوها المقربون لها بكامللا لا هل هذا معقول ، لابد أن نيفل قد جن .

فقالت ماري إيلدن : الحق أنها فكرة عجيبة .

كان للسيدة تريسيليان أنف مقوس طويل تعرف كيف تنظر من فوقه بأنفة وكبرياء لتحقير محدّثها عندما تريد ، وعلى الرغم من أنها تجاوزت السبعين من عمرها وأدركها الضعفَ والوهن فإنها ظلت محتفظة بكل قواها العقلية ونشاطها الذهني ، صحيح أنها كانت تتقوقع أحيانا وتعتزل عن الناس وتقضي في فراشها فترات طويلة إلا إنها كانت تعود إلى الحياة بعقل أوفر نشاطا ولسان أكثر ذلاقة .

أما ماري إيلدن قريبتها التي تقيم معها وتعنى بها فكانت في السادسة والثلاثين من عمرها ولها وجه أملس ناعم من تلك الوجوه التي تحتفظ بشبابها ورونقها رغم مرور السنين ، ولها شعر أسود غزير تطل منه خصلة بيضاء نمت فوق جبينها ، منذ الصبا فأكسبتها سمة مميزة .

قدمت السيدة تريسيليان إلى ماري إيلدن الرسالة التي أتتها من نيفل سترينج فقرأتها بعناية ثم عقبت عليها بقولها : إنها فكرة غريبة حقا .

قالت السيدة : لا أعتقد إنها فكرة نيفل ، لابد أن بعضهم أوحى بها إليه وقد تكون زوجته الجديدة هي صاحبة الفكرة .

- أتعنين كاي ، أتظنين أنها فكرتها ؟

- بالتأكيد إنها فكرة مبتذلة ، الزوجة الجديدة والزوجة القديمة صديقتان ، حقا لقد أهدر الناس التقاليد والمُثُل .

- أعتقد إنها وجهة نظر عصرية وأسلوب حديث من أساليب التعامل بين الناس .

- إنني لن أسمح بشيء كهذا في بيتي ، حسبي أني وافقت أن أستظيف تلك الدمية الملونة .

- إنها زوجة نيفل .

- وذلك هو السبب الذي دفعني للموافقة على قدومها إلى هذا البيت فقد كان زوجي يحب نيفل ويود أن يشعره بأن البيت بيته وقد خشيت إن أنا رفضت استقبال زوجته أن تحل القطيعة بيننا محل المودة ، إنني لا أحب هذه المرأة فهي لا أصل لها ولا جذور ، وليست جديرة بأن تكون زوجة لنيفل .

- يقال إنها من أُسرة كريمة .

- بل إنها من أصل وضيع ، فقد طُرِدَ أبوها من جميع الأندية بسبب الغش في اللعب ، ومن حسن حظه أنه مات عقب ذلك مباشرة ، أما أمها فكانت لها شهرة معينة في الريفييرا ، وقد عاشت كاي كل حياتها في الفنادق ثم قابلت نيفل في أحدى مباريات التنس فقررت أن تقتنصه ولم يهدأ لها بال حتى جعلته يترك زوجته ويتزوجها ، وهي الملومة في كل ما حدث .

- ونيفل ، إنه يستحق اللوم أيضا .

- بالتأكيد ، كانت له زوجة فاتنة مخلصة فتخلى عنها ، ولكني مازلت مقتنعة بأنه لولا هذه المرأة اللعوب لعاد نيفل إلى صوابه .

- كان الموقف عسيرا من جميع الوجوه .

- نعم ، إن الإنسان يحار فيما يفعل في مثل هذهِ الظروف ، كان زوجي يحب أودري كما أحببتها ، وليس هناك من ينكر أنها كانت نعمَ الزوجة لنيفل ، الشيء الوحيد الذي يؤسف له أنها لم تكن تشاطره هواياته الرياضية ، ولكنها كانت دائما رقيقة ضعيفة البنية . إن الأمر كله يدعو إلى الرثاء ، في صباي لم يكن يحدث شيء مثل ذلك ، كان للرجال مغامراتهم بطبيعة الحال ولكن لم يكن يُسمح لهم بهدم حياتهم الزوجية مهما كانت الأسباب .

- ولكن ذلك مسموح به في هذه الأيام .

- هذا صحيح ، إنك إنسانة واقعية يا ماري ، فلا جدوى الحديث عن أيام مضت ، في هذه الأيام تستطيع فتاة لعوب مثل ماري أن تختطف زوج أخرى دون أن يلومها أحد ،

- لا يلومها أحد إلا إذا كان مثلكِ يا كامللا .

- إن مخلوقة مثل كاي لا يهمها أن أقرأ سلوكها ولا أُقره ، إنها مشغولة دائما بلهوها وعبثها لكن لا مانع لدي من أن يححضرها نيفل معه ، ولا من أن أستقبل أصدقاءها وإن كنت لا أميل إلى ذلك الشاب الرقيق الذي يحوم حولها ، ما اسم ذلك الشاب ؟

- تعنين أدوارد لاتمير ؟

- نعم ، إنه صديقها منذ أيام الريفييرا ولست أعلم من أين له المال الكفي لينفقه على حياته .

- لعلهه يعيش بمواهبه .

- أعتقد أنه يستثمر وسامته ، ولكني لا أظن أنه الصديق المناسب لزوجة نيفل ، لقد ضايقني بمجيءه في الصيف الماضي

وأقام في فندق إيسترهيد ليكون على مقربة منها .

فنهضت ماري إيلدن ووقفت أمام النافذة ،كان بيت السيدة تريسيليان يقع على ربوة تطل على نهر تيرن وعلى الضفة الأخرى كان يوجد خليج إيسترهيد بشواطئه الرملية التي أصبحت أخيرا قِبلة للمصطافين ، إذ أقيم عليه مجموعة من الأكواخ وفندق كبير يطل على البحر من ناحية وعلى قرية سولت كريت من ناحية أخرى .

وسولت كريت قرية صغيرة تقع أسفل الربوة التي ينهض فوقها قصر السيدة تريسيليان ، ويشتغل كل أهل هذه القرية تقريبا في صيد السمك ، وكان السيد ماتيو تريسيليان من هواة الملاحة وقد ابتاع هذا القصر منذ ثلاثين عاما ثم حدث منذ تسعة أعوام أن انقلب به القارب فغرق في البحر أمام ناظري زوجته ، ، وكان من المتوقع بعد وقوع هذه الكارثة أن تبيع السيدة القصر وترحل عن سولت كريت ، ولكنها لم تفعل وظلت تقيم في القصر ، وكان كل ما فعلته أن تخلصت من جميع قوارب زوجها لذا

فأصبح يتعين على ظيوفها أن يسيروا على أقدامهم حتى المرفأ وهناك يستأجرون قاربا عبر النهر عند أضيق نقطة من مجراه .

قالت ماري بعد تردد قصير : هل أكتب إلى نيفل لأنبهه بأن اقتراحه لا يتفق مع وجهة نظرك ؟

فقالت السيدة تريسليان : ليس لدي اعتراض على زيارة أودري فقد اعتادت على القدوم في شهر أيلول من كل عام ولذلك لن أطالبها بتغيير برنامجها.

- يقول نيفل في رسالته إن أودري توافق على رأيه ولا تمانع في مقابلة كاي .

- لا أصدق ذلك ، إن نيفل مثل غيره من الرجال يؤمن بكل ما يريد الأيمان به .

- ولكنه يؤكد بأنه قد تحدث إلى أودري وإنها وافقت .

- أعتقد أنه يشعر بأنه أساء التصرف ويريد الآن أن يريح ضميره ، لابد أنه ألح على أودري إلحاحا شديدا حتى انتزع موافقتها على لقاء كاي ، إنها أصيبت بانهيار تام عقب الطلاق ولاذت ببيت عمتها السيدة رويد وصارت شبحا من فرط الهزال ، ولكنها استردت صحتها أخيرا وعادت إلى سابق عهدها ، ولا يمكنني أن أصدق أنها وافقت راضية على بعث ذكريات الماضي . اصغي إلي يا ماري ، إن غدا هو أول شهر آيار وبعد ثلاثة أيام ستكون أودري في ضيافة آل دار لبنحتون في آيسبانك التي لا تبعد عن هنا أكثر من 20 ميلا ، اكتبي إليها واطلبي منها أن تأتي لتناول الغداء معنا هنا .

5 آيار مايو

أعلنت الخادمة عن قدوم أودري سترينج ، واجتازت أودري الغرفة الفسيحة التي ترقد السيدة تريسيليان على فراش كبير في أحد أركانها ، وانحنت فوق السيدة العجوز وقبّلتها ، ثم جلست على مقعد بجوار الفراش

قالت السيدة تريسليان : كم أنا سعيدة بلقائك أيتها العزيزة .

كانت أودري متوسطة القامة ذهبية الشعر شاحبة اللون لها وجه دقيق القسمات تطل منه عينان واسعتان لونهما رمادي ، وكانت من الرقة بحيث يخيل للناظر إليها أنها مجرد شبح ، ، ولكن صوتها كان صافيا جميلا له رنين محبب كرنين جرس من الفضة .

ودار الحديث بين المرأتين حول بعض أصدقائهما إلى أن قالت السيدة تريسليان : لقد دعوتكِ أيتها العزيزة لكي أراكِ أولا ، ثم لكي أقول لك أنني تلقيت من نيفل رسالة عجيبة .

فنظرت إليها أودري بعينين صافيتين وقالت لها في هدوء : أحقا ؟

- لقد اقترح في رسالته أمر لا يقبله عقل ، قال إنه يريد أن تتوثق أواصر الصداقة بينكِ وبين كاي ، وإنك وافقتِ على ذلك .

أجابت أودري بصوت هادئ عذب : وهل هذا الأمر لا يقبله عقل ؟

- أحقا أنكِ وافقتِ أيتها العزيزة ؟

فصمتت أودري لحظة ثم أجابت : خُيِّلَ إلي أن ذلك لن يضر أحدا .

- أحقا تريدين مقابلة تلك الكاي ؟

- مادام نيفل يريد ذلك .

- لا يهمني ما يريده نيفل ، المهم هو هل وافقتِ أنتِ ؟

فاحمر وجه أودري قليلا ثم أجابت : نعم .

- نعم ، مادام الأمر كذلك .

ثم استدركت قائلة : آه البيت بيتك وباستطاعتك القدوم متى تريدين ، إنك ستحضرين في أيلول كالعادة وسيحضر نيفل وكاي في نفس الشهر ، الحق إنني لا أفهم التطورات الجديدة التي طرأت على الحياة الاجتماعية .

وأغمضت عينيها ولزمت الصمت لحظة ثم نظرت إلى أودري وقالت : هل أنتِ واثقة إن مثل هذا اللقاء لن يؤلمكِ ، إنك كنت تحبين نيفل وأخشى أن يَنكأ

هذا اللقاء جروحا اندملت .

فقالت أودري بهدوء : إن كل ما بيننا انتهى تماما .

فتمددت السيدة في فراشها وأغمضت عينيها مرة أخرى وهي تغمغم : إن نيفل مغفل وسوف يندم على أنه فكر في الجمع بينكما .

29 آيار مايو

أشعل توماس غليونه وأطل من نافذته على المزارع التي تترامى أمامه بينما خادمه يعمل في نشاط لحزم أمتعته ، كان يفكر في أنه لن يراها مرة أخرى قبل ستة أشهر على الأقل .

- قبل ستة أشهر على الأقل ؟

- أعني هذه المزارع العزيزة التي عشتُ فيها طوال السنوات السبع الأخيرة .

فُتِحَ الباب وأطل منه شريكه الان دريك وسأله : هل فرغت من حزم حقائبك يا توماس ؟

- تقريبا .

- إذن هلمّ بنا نتناول شرابا أيها الشيطان السعيد .

فغادر توماس رويد الغرفة ببطء ولَحِقَ بشريكه وصديقه في شرفة البيت .

كان رويد ربعة القوام يمتاز بوجه جامد وعينين قويتين الملاحظة وقد اشتهر بأنه صموت قليل الكلام حتى أصبح أصدقاؤه يعرفون انطباعه من طريقة صمته ، وكان يعرج قليلا ويشعر بعجز ذراعه اليمنى نتيجة أصابته في زلزال حدث في الملايو .

قال دريك لصديقه وهو يعد الشراب : متى زرت إنكلترا آخر مرة ؟

- منذ سبع أو ثماني سنوات .

- هل خططتَ لإجازتك وكيف ستقضيها ؟

- إلى حد ما .

- يخيل إلي أن هناك فتاة في انتظارك .

- لا تكن مغفلا .

ثم استطرد قائلا على خلاف عادته في الصمت والإيجاز : أعتقد أنني سأجد كل شيء قد تغير .

فنظر إليه دريك في عجب وقال : لطالما تساءلتُ لماذا عدلت عن السفر في آخر لحظة في العام الماضي .

- جاءتني أنباء سيئة .

- آه تذكرت الآن ، لقد جاءك نبأ مصرع أخيك في حادث سيارة .

فأطرق توماس برأسه ولم يجب ، وفكر دريك أنه كان بوسع صديقه مع ذلك أن يسافر فإن له في إنكلترا أما وأختا ، ، وفجأة تذكر دريك أن صديقه قد ألغى رحلته قبل أن يرد إليه نبأ مصرع أخيه .

- هل كانت العلاقة بينك وبين أخيك طيبة ؟

- بيني وبين أدريان ؟ كانت علاقة عادية وكل منا يسير في طريقه .

كان أدريان محاميا ، وفكر دريك في الاختلاف الكبير بين الأخوين ، فأحدهما

صناعته الكلام والآخر لا يتكلم إلا بمقدار ، .

سأل دريك : هلأمك لا تزال على قيد الحياة ؟

- نعم .

- أعتقد أن لك أختا أيضا ؟

فهز رويد رأسه سلبا وقال : لا إنها إحدى قريباتي وقد نشأت معنا لأنها كانت يتيمة .

- هل هي متزوجة ؟

- كانت زوجة للمدعو نيفل سترينج .

- آه ، ذلك الرياضي الذي يلعب التنس والجولف ؟

- نعم ، ولكنها طلقته .

قال دريك لنفسه : لابد أنه قرر العودة إلى إنكلترا ليجرب حظه مع قريبته .

ثم قال ليغير مجرى الحديث : أكبر الظن أنك ستقضي إجازتك في صيد السمك .

- إنني أُفَضِّل الملاحة في سولت كريت .

- إنها منطقة رائعة وأنا أعرفها ويوجد فيها فندق قديم مشهور كما أعتقد .

- نعم فندق بالمورال ، ربما أقيم فيه أو في بيت أصدقاء لي على مقربة منه .

29 آيار مايو

قال السيد تريفز : حقا أنه أمر يبعث على الضيق ظللت أتردد على فندق مارن في منطقة لبهيد طوال 25 عاما وه هم الآن يهدمونه بدعوى التوسع وإدخال تعديلات ، لماذا لا يدعون فنادق الاصطياف وشأنها ؟ لقد كنت دائما أحب منطقة لهييد .

فقال رافاس لورد مواسيا : ألا توجد هناك فنادق أخرى يمكنك الإقامة فيها ؟

قال السيد تريفز : مادام فندق مارن قد هدم فلن أذهب إلى لهييد إطلاقا ، إذ كان السيد ماكاي صاحبة فندق مارن تعرف مطالبي واحتياجاتي ، وكنت أقيم في نفس الغرفة كل عام ولم يحدث قط أي تغيير في نظام الخدمة وكان الطعام جيدا .

- ما رأيك في منطقة سولت تريك ؟ يوجد هناك فندق جديد معروف بفندق مالمورال تشرف عليه سيدة تدعى السيدة روجرز كانت تعمل طاهية في قصر الأمير مارنتهيد الذي طالما قدم لظيوفه أشهى أطعمة عرفتها لندن ، وقد اقترنت الطاهية بكبير خدم القصر ، وأنشأت مع زوجها هذا الفندق الذي يخيل إلي أنه سيلائمك تماما

ولسوف تجد فيه الهدوء والراحة والطعام الجيد ، ولا شيء من موسيقى الجاز التي تزعج العجائز أمثالنا .

- وهل توجد بهذا الفندق شرفة مسقوفة ؟

- نعم فيه شرفة واسعة مسقوفة تجد فيها الظل والشمس على السواء ، وأستطيع أن أقدمك إلى بعض الشخصيات التي تقيم بالمنطقة مثل السيدة تريسيليان التي تملك قصرا هناك ، وهي سيدة ظريفة رغم إنها قلما تبرح فراشها .

- السيدة تريسيليان أرملة القاضي السيد ماتيو تريسيليان ؟ إنني كنت أعرف زوجها السيد ماتيو وأعتقد أني قابلتها في بعض المناسبات ، ، كان ذلك منذ وقت طويل . ، إن سولت كريت تقع بالقرب من سانتلو أليس كذلك ? إن لي أصدقاء كثيرين في المنطقة ، أعتقد أن فكرتك صائبة ، يا رافاس . سأكتب الآن إلى فندق بالمورال في طلب بعض التفاصيل ، أريد أن أقيم هناك شهرا من منتصف آب إلى منتصف أيلول ، ههل توجد بالفندق حضيرة للسيارات ومكان لإيواء السائق ؟

- بالتأكيد ، إنه فندق كبير ويدار بأحدث الأساليب العصرية .

- وهل يوجد به مصعد ، أنت تعلم إني لا أستطيع الصعود إلى الطوابق العليا .

- أظن أن به مصعدا .

- ذلك يلائمني تماما ، وسوف يسرني أن اجدد معرفتي بالسيدة تريسيليان .

8 تموز يوليو

كانت كاي سترينج ترتدي شورتا وقميصا برتقالي اللون وحذاءً خفيف ا ، وترقب زوجها باهتمام وهو يلاعب ميريك الشاب في المباراة النهائية لفردي الرجال ، في دوري ألعاب التنس التي أقيمت في سانتلو ، وكان المفهوم أن ميريك هو أقوى المرشحين لبطولة الدوري فقد كانت ضرباتهمن البراعة بحيث لا يمكن صدها ، ولكن نيفل كان يمتاز بالخبرة والجلد ، وأسفرت الجولة الثالثة بين الغريمين عن التعادل ثلاثة ثلاثة ، وكان أدوارد لاتيمر يجلس وراء كاي ويراقب المبراة بقل اكتراث ، .

فقال ساخرا : الزوجة الوفية ترقب زوجها المحبوب وهو يشق طريقه إلى النصر .

كان لاتيمر في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، وسيما إلى حد يلفت إليه الأنظار له عينان أقوى تعبيرا من لسانه وصوت يعرف صاحبه كيف يتحكم في نبراته كأعظم ممثل ، ، وقد عرفت كاي صدديقها هذا منذ كانت في الخامسة عشر من عمرها ، كانا يصطافان في نفس المصيف كل عام ويرقصان ممعا ويلعبان معا وتطورت

العلاقة بينهما بمرور الأيام إلى شبه تحالف ، .

قال أدوارد : إن نيفل يستخدم ظاهرة يده خير مما يستخخدم باطنها .

وانتهى الشوط السابع بفوز نيفل وبدأ ميريك يفقد أعصابه ويرسل الكرة حيثما اتفق وانتهى الشوط الثامن بفوز نيفل ، ثم تمالك نيفل نفسه وأخذ يلعب بحذر شديد وغير سرعة ضرباته ولم يلبث أن تعادل مع غريمه ،

وحينئذ قال لاتيمر : يبدو أنها ستكون مباراة حامية الوطيس .

وانتهت المباراة بفوز ميريك ، فتقدم نيفل من الشبكة وصافح غريمه وهو يبتسم .

قال لاتيمر : إن للسن أحكامها ، 19 عاما ضد 33 ، ولكني أستطيع ان أقول لك يا كاي لماذا لم يصل نيفل قط إلى مرتبة البطولة ، إنه لم يصل إليها لأنه تعود أن يتلقى الهزيمة بصدر رحب .

- هراء .

- إنه لا يتخلى عن خلقه الرياضي ، ولم أره قط يفقدأعصابه حين يخسر أحدى المباريات .

- ولكنك مع ذلك لا تحبه .

- كيف أحبه وقد خطَف مني فتاتي ؟

تعلقت عيناه بعينيها فقالت : أنا لم أكن فتاتك ثم إني أحببته فتزوجته .

- على كل حال هو رجل ظريف والجميع يقولون عنه ذلك .

- هل تريد مضايقتي ؟

وتحولت إليه بحدة وهي تقول ذلك ، لكنه ابتسم فتفتت غضبها على الفور وابتسمت بدورها .

سألها : كيف أمضيتِ الصيف ؟

- أمضيتُه برحلة ممتعة لكني سأمت هذه المباريات

- هي ستستغرق شهرا آخر .

- نعم ، لكننا سنذهب في أيلول إلى جازبونيت حيث نقضي أسبوعين

- أما أنا فقد حجزت غرفة في فندق إسترهيد .

- سنكون أعجب جماعة أظلها سقف واحد أنا ونيفل وزوجه السابقة ورجل آخر قادم

من ملايو ليقضي إجازته في إنكلترا .

فقال لاتيمر ضاحكا : وأنا في فندق على المقربة منكم .

وعندما قابلت كاي زوجها خارج غرفة الملابس قال لها : أرى أن صديقك قد وصل .

- من أدوارد .

- نعم أدوارد الكلب الأمين .

- ألا تحبه ؟

- أنا لا أعبأ به طالما يسركِ أن تمسكي بمقوده .

فهزت كتفيها وقاطعته قائلة : أظن أنك تغار منه ؟

- من أدوارد لاتيمر ؟!

- المفهوم أنه شاب وسيم جذاب .

- هذا صحيح ولكني لا أغار منه ، لن أغار حتى لو مشى في ركابك جيش من المعجبين لسبب بسيط وهو أنكِ ملكي .

- ما أشد ثقتك بنفسك ؟

- ولِمَ لا ؟ ألسنا تعبيرا حيا لإرادة القدر الذي وضع كُلا منا في طريق الآخر وقد جمعنا كَزوجين ، هل تذكرين كيف التقينا في مدينة كان ثم رحلت أنا بعد ذلك إلى أستوريل في إسبانيا فإذا بي أجد نفسي فجأة أمام كاي الفاتنة ، لقد أحسست يومئذ إنه القدر وأن لا مفر من النزول عند إيرادته .

- لم يكن القدر أيها العزيز إنه أنا .

- ماذا تعنين ؟

- إنني أعجبت بك حين رأيتك في كان ثم سمعتك تقول أنك ذاهب إلى أستريل فأقنعت أمي بالذهاب إليها ، وهكذا وجدتني أمامك .

فرمقها نيفل بنظرة عجيبة ثم قال بعد صمت طويل : إنك لم تصارحيني بذلك قبل الآن .

- لم أصارحك أشفاقا عليك من الغرور ، ولكني كنت دائما بارعة في التخطيط وأحيانا أخطط لأهداف بعيدة جدا ، إنني لست بلهاء كما وصفتني .

فقال نيفل بشيء من المرارة : الآن فقط بدأت أفهم المرأة التي تزوجتها .

- هل أنت حانق علي يا نيفل ؟

- لا ، لماذا أحنق عليك ..

10 آب أغسطس

جلس الأمير كونيللي ذلك النبيل الثري الغريب الأطوار أمام مكتبه الضخم كان في السنوات الأخيرة مصدر فخره وخيلائه ، كان هذا المكتب العظيم قد صنع خصيصا له وفق إرشاداته وقد كلفه مبلغا طائلا وروعي في ديكور الغرفة أن يبرز فخامة المكتب ، وكانت النتيجة منظرا يبهر الأبصار ولا يشوهه سوى وجود الأمير كونيللي ذلك التافه القصير القامة الذي ينكمش حجمه بالقياس إلى ضخامة المكتب فبدا أشبه بالأقزام ، .

دخلت سكرتيرة رشيقة يتناسب لون شعرها الأشقر مع لون الغرفة فسارت على الأرض اللامعة دون أن تحدث صوتا ووضعت أمام الأمير قصاصة من الورق فنظر إلى الورقة وغمغم قائلا : ماكويرتر ، من هو ؟ هل كان معي على موعد ؟

فأجابت الشقراء بالإيجاب ، ففكر الأمير قليلا ثم لمعت عيناه فهتف : ماكويرتر ، بالتأكيد دعيه يدخل .

وضحك وأحس براحة نفسية .

اعتدل الأمير في جلسته وصعّد في الزائر بنظراته وتفرس في وجهه العبوس ثم سأله : هل أنت ماكويرتر ؟

فأجابه ماكويرتر وهو منتصب القامة مقطب الجبين : نعم .

- هل كنت تعمل مع هيربرت كلاي ؟

- نعم .

فضحك الأمير مرة أخرى وقال : إنني أعرف عنك كل شيء ، لقد سُحبَت رخصة قيادة هيربرت كلاي لأنك رفضت أن تشهد بأنه كان يقود سيارته بِسرعةِ 30 كيلومترا في الساعة ، إنه يتميز غيظا منك .

وواصل ضحكه بصوت مرتفع واستطرد يقول : إنه روى لي القصة كلها ، في فندق سافوي إذ صاح بصوت غاضب : لقد حاولت عبثا أن أقنع الأسكتلندي العنيد بأن يؤيد كلامي . فهل تعرف ما خطر لي عندما سمعت القصة ؟

- ليست لدي أي فكرة .

وكان ماكويرتر يتكلم بإيجاز وبشيء من الجفاء ، ولكن الأمير لم يُقِم لذلك وزنا وقال : قلت لنفسي هذا هو الرجل الذي أريده ، رجل لا يحيد عن الصدق مهما كانت المغريات ، اصغِ إلي يا ماكويرتر إنك لن تضطر للكذب من أجلي لأنني أعمل في وضح النهار ولا أخفي شيئا ولقد كنت دائما أبحث عن أناس أمناء ، ولكن ما أقلهم في هذه الدنيا .

ثم كف عن الضحك وتفرس في وجه ماكويرتر مرة أخرى وقال : إذا كنت تريد عملا يا ماكويرتر فلدي عمل لك .

- إنني أُرحب به .

- عندي لك وظيفة مهمة يجب ألا يشغلها سوى رجل أمين يمكن الوثوق به ، .

وصمت الأمير وانتظر رد ماكويرتر ولكن هذا الأخير لزم الصمت .

فصاح الأمير : تكلم يا رجل هل أستطيع الاعتماد عليك ؟

وأجاب ماكويرتر بجفاء : بالتأكيد تستطيع ، وهل تتوقع أن أقول غير ذلك؟

فأعجب الأمير بجديته وقال : سأسند إليك هذه الوظيفة ، هل تعرف أمريكا الجنوبية؟

وأخذ يتحدث في التفاصيل ، وبعد نصف ساعة كان ماكويرتر يسير في الشارع وهو يعد نفسه المرشح الوحيد لوظيفة مهمة ذات مستقبل عظيم ، لقد ابتسم له الحظ أخيرا بعد طول عبوس ، أما هو فلم يبتسم رغم أن تفصيلات لقائه مع الأمير كانت تبعث على الضحك .

أليس مما يُضحك أن تكون شتائم مخدومه السابق وحملته عليه هي جواز المرور إلى عمله الجديد ، لا شك إنه إنسان حسن الحظ ولكن ما أهمية ذلك ، لقد آل على نفسه أن يعيش ولكن بلا حماسة أو اهتمام سيعيش ليومه دون أن يلقي ببصره إلى غده ، إنه حاول الانتحار منذ سبعة أشهر ونجا من الموت بمحض المصادفة ولكنه الآن ليس على استعداد أن يكرر المحاولة مرة أخرى ، إن الإنسان لا يستطيع أن يقتل نفسه لمجرد إحساسه أن الحياة لم يعد لها معنى ولا قيمة إنما يقتل الإنسان نفسه حين يبلغ به اليأس المدى بل ويتجاوزه ، لابد من القشة التي تقصم ظهر البعير ، بيد أنه أحس بالارتياح بصفة عامة لأن وظيفته ستبعده عن إنكلترا لذلك فقد قرر أن يبحر إلى أمريكا الجنوبية في نهاية شهر أيلول ولذلك فلابد أن يقضي الأسابيع القليلة التالية في الاستعداد للرحيل والتعرف على دقائق عمله الجديد وسيبقى له قبل الرحيل أسبوع للراحة فأين يقضيه ؟

هل يقضيه في لندن أو خارجها ؟ وصح عزمه على أن يقضيه في سولت كريت ، في المنطقة التي أقدم فيها على الانتحار وارتسمت على شفتيه ابتسامة حين خطرت له هذه

الفكرة .

19 آب أغسطس

قال المفتش باتل بامتعاض : لقد ذهبت أجازتي مع الريح .

وأحست السيدة باتل باليأس وخيبة الأمل ولكن السنوات الطويلة التي عاشتها كزوجة لمفتش بوليس علمتها أن تواجه اليأس وخيبة الأمل بشيء من الفلسفة .

قالت : لابد مما ليس منه بد ، هل ثمة قضية مهمة ؟

- بل قضية عادية لا تختلف عن غيرها إلا كونها خاصة بوزارة الخارجية وهي ليست من النوع الذي يستحق أن أنشره في مذكراتي ، .

- لا بأس أن نرجئ إجازتنا إذن .

فقاطعها زوجها بحدة : لا أبدا اذهبي مع الفتيات إلى برتيلنجتون فقد حجزت شقة هناك منذ شهر آذار وحرام ألا نفيد منها ، ثم إننا فسنقضي أسبوعا مع جيمس فور الفراغ من هذه القضية .

كان جيمس ليتش هو ابن أخيه وكان يعمل مفتشا للبوليس في سولتنجنتون .

استطرد باتل قائلا : إن سولتنجنتون تقع على مقرب من سولت كريت ومن خليج إسترهيد وهكذا سوف تتهيأ فرصة للاستمتاع بماء البحر وهوائه .

فتنهدت السيدة باتل وقالت : أكبر الظن أنه سيشغلك معه في بعض القضايا .

- لم تكن هناك قضايا مهمة في هذا الفصل من هذه السنة ،يضاف إلى ذلك أن جيمس كفء في معالجة قضاياه .

- على رسلك إذن ، إن الإنسان لا يملك أمام الشعور بخيبة الأمل من سبيل .

- هذه محن ترمينا بها الأقدار لاختبارنا .

الفصل الثالث

الجريمة

1

ما أن غادر توماس رويد القطار في محطة سولتنتجون حتى وجد ماري إيلدن في انتظاره ، لم يكن يذكرها جيدا لكنه عرفها ما أن رآها ولاحظ أنها لاتزال كعهده بها حازمة سريعة في حزم الأمور .

قالت له وهي تدعوه باسمه الشخصي كما كانت تفعل فيما مضى : كم أنا سعيدة بلقائك بعد كل هذه السنين يا توماس .

- كان كرم منكم أن توافقوا على إقامتي معكم وأرجو ألا يكون في ذلك إزعاج لكم .

- على العكس إنك ستحل بيننا على الرحب والسعة ، هل هذه حقائبك ؟ دع الحمّال يذهب بها إلى السيارة .

- إني تركتها أمام المحطة .

ووُضعت الحقائب في السيارة وجلست ماري أمام عجلة القيادة وجلس توماس بجوارها ، تحركت السيارة ولاحظ توماس أنها تجيد القيادة وتحسن تقدير المسافات والأبعاد .

وكانت سولتنتجون تبعد عن سولت كريت حوالي سبعة أميال ، وما أن خرجت السيارة من المدينة الصغيرة حتى عادت ماري إلى الحديث عن زيارة توماس فقالت له : إن قدومك في هذه الأيام نعمة من السماء فالأمور في القصر ليست على ما يرام ووجود شخص غريب هو ما نحتاج إليه .

- لماذا ، ماذا حدث ؟

ألقى هذا السؤال بفتور وبلا حماسة كأنما ألقاه تأدبا لا بدافع الفضول وذلك ما كانت تريده ماري ، كانت تريد شخصا تتحدث إليه ، وتفضل أن يكون هذا الشخص ممن لا يعنيهم ما يحدث في القصر .

- إننا في مأزق حرج ، لقد جاءت أودري هل تعلم ذلك ؟

فأومأ برأسه علامة الإيجاب .

قالت : كذلك جاء نيفل وزوجته .

فرفع توماس حاجبيه وقال بعد لحظة : موقف حرج حقا أليس كذلك ؟

- بلى ، كانت فكرة نيفل .

- لماذا ؟

فقلبت كفها في حيرة وأجابت : لعله فعل ذلك تجاوبا مع الأساليب الحديثة التي تقول إن الصداقة والتفاهم بعد انقضاء الصلات الزوجية لا تضير أحدا .

- وماذا فعلت الزوجة الجديدة ؟

- كاي ، إنها جميلة بالتأكيد بل إنها على جانب كبير من الجمال وصغيرة السن .

- وهل نيفل يحبها ؟

- أظن ذلك ، وإن كنت لا أرى بينهما صفة مشتركة ، فأصدقاؤها مثلا ...

ولم تتم عبارتها

فقال : أعتقد أنه قابلها في الريفييرا ، بصراحة لا أعرف عنهما سوى الحقائق القليلة التي سجلتها أمي في رسائلها إلي .

- نعم ، إنه قابلها لأول مرة في مدينة كان ولكني مازلت على يقين لو أنه تُرِكَ لنفسه لما أسفرت المقابلة عن شيء لأنه كان يحب أودري كما تعلم .

هز رأسه علامة الإيجاب ، فواصلت ماري حديثها قائلة : لا أظن أن نيفل كان يريد هدم حياته الزوجية ولكن الفتاة كانت مصمِمة ولم يهدأ لها بال حتى حملته على ترك زوجته .

- هل هي مولعة به إلى هذا الحد ؟

والتقت عيونهما فقالت : أظن ذلك رغم أن لها صديقا وسيما يمشي في ركابها أينما ذهبت وإني لأتساءل في بعض الأحيان عما إذا كانت الفتاة تحب نيفل لشخصه أم لثروته ومركزه ذلك لأنها فقيرة لا تملك شيئا .

واحمر وجهها قليلا واستطردت قائلة : ربما كان حديثي مبعثه الحسد فالفتاة رائعة إلى حد يثير حسد العوانس من مثيلاتي .

- ولكن ما هو الحرج الذي تعانونه الآن ؟

- حقا إنني لا أستطيع تحديده أو توضيحه ، لقد استطلعنا رأي أودري في البداية فلم تمانع في مقابلة كاي وكانت لطيفة كالمعتاد ، إنها إنسانة كاملة بمعنى الكلمة تعرف كيف تسيطر على نفسها وتتحكم في مشاعرها إذ إن لا أحد يستطيع أن يتكهن بما تشعر به أو تفكر فيه ، على إنني شخصيا أعتقد إن وجود نيفل وكاي لا يهمها حقا .

- ولماذا تهتم لقد انتهى كل ما كان بينهما منذ ثلاث سنوات .

- ولكن هل تُنسى من كانت مثلها ؟ إنها كانت تحب نيفل حبا جنونيا .

- إنها في الثانية والثلاثين من عمرها ومازا المستقبل فسيحا أمامها .

- هذا صحيح ولكن انفصالها عن نيفل كان بمثابة صدمة لها وقد أصيبت بانهيار كما تعلم .

- أعلم ذلك ، فقد أنبأتني أمي في رسائلها إلي .

- كان وجود أودري مع أمك في ذلك الوقت من بواعث الترفيه عن أمك نفسها فقد صرفها عن الحزن والتفكير في مصرع أخيك ، كم أسِفنا جميعا عليه .

- مسكين أدريان كان مولعا بالسرعة .

فصمتت ماري ثم قالت فجأة : حدثني يا توماس هل تعرف أودري جيدا ؟

- إنني لم أرها إلا قليلا في السنوات العشر الأخيرة .

- لكنك كنت تعرفها وهي طفلة ، ألم تكن بمثابة أخت لك أنت وأدريان ؟

فأطرق برأسه علامة الإيجاب واستطردت ماري سائلة : هل لاحظت في وقت ما أنها تفتقر إلى الاتزان ؟ لا أعني هذا بالضبط أريد أن أقول أنني أشعر أحيانا أنها ليست طبيعية ، إنها لا تبالي بمن حولها وتبدو كاملة بطريقة غير مألوفة ، وتراني أتساءل أحياناا تُرى ماذا وراء هذا المظهر ؟ قد لا يكون هناك ما يستوجب هذا السؤال فقد أكون متأثرة بالجو الذي يسود القصر في هذه الأيام ، إنه جو يشد الأعصاب ولذلك قلت لك إن قدومك سيقلل الكثير من التوتر الموجود هناك .

ووصلا إلى القصر الذي ينهض فوق ربوة تطل على النهر وحينها قالت ماري : سأذهب إلى الحضيرة التي تقع في الجانب الآخر من القصر .

أقبل هرستال العجوز كبير الخدم فحيا توماس تحية صديق قديم قائلا : كم أنا سعيد برؤيتك بعد كل هذه السنين يا سيد رويد ، لقد أفردنا لك الغرفة الشرقية وستجد القووم جميعا في الحديقة إلا أردت الذهاب إلى غرفتك أولا .

فهز توماس رأسه ومضى إلى قاعة الاستقبال واشتازها إلى الباب المؤدي إلى الشرفة وتوقف هناك لحظة لكي يرقب القووم دون أن يروه ،

رأى في الشرفة امرأتين إحداهما تجلس على الحاجز وتنظر إلى النهر والثانية ترقبها من بعيد بعينين كعيني الهرة حين تتربص بفأر ، كانت الأولى أودري وأدرك توماس أن الثانية لابد أن تكون كاي ، ولم تكن تعلم أن هناك من يراها لذلك لم تحاول إخفاء التعبير الذي ارتسم على وجهها ، وقد أيقن من نظرة كاي إلى أودري إنها تمقتها أشد المُقت ، أما أودري فلم يبدو عليها إنها تعبأ بكاي أو تشعر بوجودها .

كان توماس قد رأى أودري منذ سبعة أعوام فراح يتأملها باهتمام ليرى مدى ما طرأ عليها من تغيير ، كان هناك تغيير بلا شك فقد أصبحت أودري أشد نحولا وشحوبا ورقة ولكن لا أثر على وجهها لتجاعيد الهم والحزن كما كان يتوقع ، ونظر إلى المرأة الأخرى تلك التي اتخذها نيفل زوجة له كانت جميلة حقا وخطرة أيضا ، حتى إنه قال لنفسه : إنني لا أطمئن على أودري إذا انفردت بها هذه المرأة وبيدها خنجر ، ولكن لماذا تمقت أودري لقد انتهى كل ما كان بينها وبين نيفل ؟

وفي هذه اللحظة سمع وقع أقدام تقترب فرأى نيفل يصعد درج السلم المؤدي من الحديقة إلى الشرفة .

قال نيفل وهو يلوح بالمجلة في يده : هاهي المجلة المصورة أما المجلة الأخرى فلم أجدها .

وهنا حدث شيء في نفس اللحظة إذ قالت كاي : حسنا أعطينياها .

بينما مدت أودري يدها وهي شاردة الذهن دون أن تحرك رأسها وتنظر إلى نيفل ، ووقف نيفل في منتصف المسافة بين المرأتين وظهرت على وجهه دلائل الارتباك وقبل أن يتكلم صاحت كاي بصوت مشحون بالهستيريا : أعطنياها أعطنياها يا نيفل والتفتت أودري ناحيته وسحبت يدها وقالت : بقليل جدا من الارتباك : أنا آسفة يا نيفل ظننتك تتحدث إلي .

فخطا نيفل إلى الأمام بسرعة وقدم المجلة لأودري ولكنها ترددت واشتدت حيرتها وهمت بأن تعتذر عن قبولها ، وفي هذه اللحظة دفعت كاي مقعدها إلى العنف وانبرت واقفة ودارت على عقبيها وانطلقت إلى الباب الموصل إلى قاعة الاستقبال وكان دخولها مفاجئ لتوماس الذي ما كاد يتراجع خطوة حتى اصطدمت به ، وتراجعت كاي إلى الوراء قليلا فنظرت إليه معتذرة وحينئذ أدرك توماس لماذا لم تره ولماذا ارتطمت به فقد كانت دموع الغضب تملأ عينيها .

هتفت بصوت مرتجف : من أنت آه لا شك أنك الرجل القادم من الملايو ، ليتني كنت الآن في الملايو أو في أي مكان آخر غير هذا المكان ، إنني أمقت هذا البيت وكل ما فيه وكل من فيه .

وكانت هذه المواقف تزعج توماس فأطرق برأسه ولم يُجب.

قالت : خير لهما أن يكونا على حذر وإلا قتلت أحدهما يوما ما .

أعلنت ذلك وهرولت إلى خارج الغرفة مغلقة الباب وراءها بعنف ، جمد توماس في مكانه ولم يدر ماذا يفعل إلا أنه أحس بالارتياحَ لانصراف كاي ، وفيما هو ينظر إلى الباب الذي توارت كاي وراءه إذا به يسمع وقع أقدام تقترب منه ورآ نيفل سترينج ، وكان نيفل محتقن الوجه لاهث الأنفاس فما أن رأى توماس حتى هتف : أهذا أنت يا رويد ؟ لم أكن أعلم أنك جئت ، هل رأيت زوجتي ؟

- إنها مرت من هنا منذ لحظة .

هرول نيفل في أثر زوجته ، في الوقت الذي خرج فيه توماس إلى الشرفة ، لم تشعر به أودري إلا حينما أصبح منها قيد خطوتين فوثبت من مكانها من فوق حاجز الشرفة وهتفت وهي تبسط إليه ساعديها : توماس أيها العزيز توماس ، كم أنا سعيدة بقدومك .

فأمسك بيدها ورفعها إلى شفتيه

2

وجد نيفل زوجته في غرفة نومها فقد كانا يقيمان في جناح صغير يتألف من غرفتين يصل بينهما باب حيث نفذ نيفل من غرفته إلى غرفة زوجته من هذا البابوقد وجدها مستلقية على فراشها وسمعت كاي وقع أقدامه فرفعت إليه وجها مبللا بالدموع فصاحت به في غضب : أخيرا جئت .

- هل جننتِ يا كاي ؟ لِمَ كل هذه الضجة ؟

كان يتكلم في هدوء ولكن اختلاجة في أنفه كانت تنم عن غضب مكظوم .

صاحت : لماذا أعطيتها المجلة المصورة ولم تعطني إياها ؟

- الحق يا كاي أنك مازلتِ طفلة ، أتحدثين كل هذه الضجة من أجل مجلة مصورة تافهة ؟

فقالت بإصرار : إنك قدمتها لها ولم تقدمها إلي .

- وما أهمية ذلك ؟

- إنه يهمني .

- الحق أنني لا أدري ما دهاك ، هل من اللائق أن تتصرفي بهذه الطريقة الهستيرية في بيوت الناس ، ألا تعرفين كيفَ يكون سلوك الإنسان المهذب أمام الآخرين ؟

- لماذا أعطيتها المجلة ؟

لأنها كانت تريدها .

- كنت أريدها أيضا وأنا زوجتك .

- وهذا أدعى إلى إعطاء المجلة للمرأة الأكبر سنا والتي لا يربطنا بها في الواقع أي صلة .

- إنها انتصرت علي ، طلبت المجلة ونالتها ، إنك وقفت في صفها ضدي .

- أنت تتكلمين كطفل غيور أحمق ، تمالكي نفسك بحق السماء وحاولي أن يكون سلوكك لائقا أمام الناس .

- كسلوكها ؟

قال ببرود : إن أودري على كل حال تعرف كيف تتصرف كسيدة مهذبة .

- إنها تثيرك ضدي ، إنها تمقتني وتريد أن تنتقم لنفسها .

- ألا تكفين عن هذا الهذيان يا كاي لقد سأمت هذا الصَغار؟

- إذن هلمّ بنا نرحل من هنا ، لنرحل غدا إنني أمقت هذا البيت .

- نحن لم نقضِ به سوى أربعة أيام .

- إنها تكفي دعنا نذهب يا نيفل .

- إننا جئنا لقضاء أسبوعين وسوف نقضي هنا أسبوعين .

- سوف تأسف على ذلك يا نيفل سوف تأسف أنت وأودري ، إنك تعتقد إنها امرأة رائعة .

- أنا لا أعتقد أن أودري امرأة رائعة ، أنا أظنها امرأة دمثة الخلق وكريمة إذ إنني عاملتها بقسوة فقابلت ذلك بالصفح والغفران .

فقالت وهي تعتدل جالسة في فراشها : إذا ظننت ذلك فأنت مخطئ ، إن أودري لم تغفر لك يا نيفل وقد نظرت إليها مرة أو مرتين وهي تنظر إليك خلسةً ، إني أعرف ما يدور في خلدها إنها من أولئك الذين لا يدعون الآخرين يعرفون ما يدور في خلدهم .

- مما يؤسَف له إنه لا يوجد كثيرون من هذا الطراز .

ففر لون كاي وقالت : أتعنيني بهذا الكلام ؟

- إنك لم تحاولي قط السيطرة على مشاعرك ، كلما خطر لك خاطر ينم عن

الغيظ والحقد سارعتِ إلى الجهر به ، إنك تجعلين من نفسك ومني مصدر سخرية للآخرين

فقالت ببرود : هل تريد أن تقول شيء آخر ؟

أجابها بنفس البرود : يؤسفني أن تظني أني أتحامل عليك ، أنا لم أذكر سوى الحقيقة إنك لا تسيطرين على مشاعرك أكثر مما يسيطر الطفل .

- أما أنت فإنك لا تغضب أبدا أنت دائما هادئ ورزين حتى ليخيل إلي في بعض الأحيان أنك بلا شعور وبأنك مجرد سمكة باردة .، لماذا لا تطلق العنان لمشاعرك بين وقت وآخر ،لماذا لا تغضب وتثور وتصرخ في وجهي وتطلب إلي أن أذهب إلى الجحيم ؟

فتنهد نيفل ونظر إلى السماء مستنجدا ودار على عقبَيْه وغادر الغرفة ..

3

قالت السيدة تريسليان : إنك تبدو تماما كما كنت في السابعة عشر من عمرك يا توماس ، نفس الوجوم ونفس الصمت ، فلماذا ؟

- لا أعلم إنني لم أكن قط متحدثا بارعا .

- على العكس من أدريان كان ذلق اللسان سريع الخاطر .

- لعل ذلك كان هو السبب ، فقد كنت أصغي إليه أكثر مما أتكلم .

- مسكين أدريان كان أمامه مستقبل عظيم .

فأطرق توماس برأسه وسارعت السيدة إلى تغيير مجرى الحديث ولم يكن في الغرفة سواهما ، فقد اعتادت السيدة أن تقابل ضيوفها فرادى .

قالت : إنك جئت قبل 24 ساعة فماذا ترى في الموقف ؟

- الموقف ؟

- لا تتظاهر بالبلاهة ، إنك تعرف جيدا ما أعني ، إنني أشير إلى المثلث الأبدي الذي استقر بين ظهرانينا .

فقال في حذر : أخشى أن يحدث احتكاك .

- دعني أعترف لك بأنني أجد في الموقف ما يبعث على التسلية ، لقد بذلت ما في وسعي لكي أحول دون اجتماع هؤلاء الثلاثة هنا ولكن نيفل كان غريبا فقد أصر على أن يجمع بين زوجتيه وهاهو يحصد ما زرع

- كان ذلك رأيي أيضا ، فهذا عمل لا يقدم عليه رجل له خُلُق .

- هو نيفل وطباعه .

- إن الرجال يحرصون عادة على تجنب الموقف المحرجة ولذلك أعتقد أن نيفل ليس صاحب الفكرة أصلا ترى هل هي أودري ؟

- لا بتاتا .

- إنها كذلك لا يمكن أن تكون فكرة كاي .

- إلا إذا كانت هذه الفتاة ممثلة بارعة .

- يخيل إلي أنك لا تحبينها ؟

- لا ، يخيل لي أنها فتاة تافهة ضحلة وقد بدأت أرثي لها لأنها تتخبط وتتصرف دون وعي .ولا تعرف استخدام سوى سلاح الغضب والخشونة ونفاذ الصبر وهي أسلحة تحدث أثرا عكسيا في نفس رجل مثل نيفل .

- أظن أودري هي الشخص الوحيد الذي يجد نفسه في موقف دقيق .

فحدجته السيدة بنظرة خبيثة وقالت : إنك كنت دائما تحب أودري أليس كذلك يا توماس ؟

- هَبي أني كنت أحبها .

- وكنت تحبها منذ الطفولة .

فأطرق برأسه علامة الإيجاب ، وواصلت هي : ثم جاء نيفل وخطفها منك .

هنا تحرك بمقعده وقال : كنت اعلم أن لا أمل لي .

- يا لك من انهزامي .

- كانت أودري دائما تدعوني توماس الطيب .

- بل كانت تدعوك توماس المخْلص .

فرسمت ذكريات الطفولة على شفتيه ابتسامة سعيدة وغمغم قائلا : إنني لم أسمع هذا الاسم منذ سنوات عديدة .

قالت : إن الإخلاص فضيلة تقدرها المرأة التي مرت بتجارب مثل التي مرت بها أودري ، ولابد للمخْلص أن يجني ثمار إخلاصه .

- ذلك ما كنت أرجوه عندما جئت إلى هنا .

4

لم تكن فترات الصمت التي تخيم عليهم في غرفة الطعام أمرا غير مألوف بيد أن صمتهم ذلك المساء طال أكثر مما ينبغي فأحست ماري إيلدن بالتوتر والحرج اللذين يسودان جو الغرفة فقالت لتقطع حبل الصمت : لقد دعوتُ صديقك السيد لاتيمر لتناول طعام العشاء غدا معنا يا كاي .

قالت كاي : حسنا فعلتِ .

قال نيفل : لاتيمر ، هل هو هنا ؟

ردت كاي : إنه يقيم في فندق إسترهيد .

قال نيفل : إننا يجب أن نتناول العشاء هناك ذات ليلة ، متى ينتهي عمل عبور القوارب كل ليلة ؟

أجابت ماري : في الساعة الواحدة والنصف صباحا .

- أظن أنهم يقيمون حفلات راقصة في ذلك الفندق .

قالت كاي : إن أكثر نزلاءهم تتراوح أعمارهم بين الثمانين والمائة ..

- إذن فإن الجو هناك ليس مسليا لصديقكِ .

فقالت ماري بسرعة : لماذا لا نذهب في يوم ما للاستحمام في خليج إسترهيد إن الماء هناك دافئ والشاطئ رملي جميل .

قالت توماس محدثا أودري بصوت خافت : كنت أفكر بالقيام بنزهة بحرية غدا فهل تأتين معي ؟

- إنني أرحب بمثل هذه النزهة .

قال نيفل : لنتنزه جميعا بالقوارب غدا .

فقالت له كاي : كنت أظنك ستلعب الجولف غدا .

- ذلك ما كنت أريده فعلا لكنني تذكرت أني لم أكن في كامل لاياقتي في المدة الأخيرة .

قالت كاي ساخرة : يا لها من مأساة .

فتقبل نيفل سخريتها بصدر رحب وقال ضاحكا : إن الجولف لعبة حافلة بالمآسي .

لقد خشيت ماري أن يتطور الحوار بين الزوجين إلى التراشق بالألفاظ فقالت

بسرعة : هل تلعبين الجولف يا كاي ؟

- نعم ولكني لا أوجيده .

قال نيفل : إن كاي تستطيع أن تتفوق في هذه اللعبة إذا بذلت بعض الجهد .

فالتفتت كاي إلى أودري وسألتها : هل لك أي هواية رياضية ؟

- إنني أهوى التنس لكني لا أجيد اللعب .

فقال توماس : هل مازلت تعزفين على البيانو يا أودري ؟

فهزت رأسها مجيبة : ليس في هذه الأيام يا توماس .

- لكنك كنت بارعة في العزف .

قالت كاي لزوجها : كنت أظن أنك تحب الموسيقى يا نيفل ؟

- إنني لا أعرف عنها الكثير ولكن طالما أعجبت بقدرة أودري على العزف على البيانو رغم صغر يدها .

قال ذلك ونظر إلى أودري وهي تضع السكينة إلى جانب صحن الفاكهة .

فاحمر وجه أودري وقالت مسرعة : إن يدي صغيرة ولكن خنصري طويل دجدا وأعتقد أنه يساعدني في العزف .

قالت كاي : أنت إذن أنانية ، فطول الخنصر دليل على ذلك .

قالت ماري إيلدن : أحقا ؟ إذن لابد أني لست أنانية إن خنصري قصير جدا .

قال توماس وهو ينظر إليها بحدة : أظن أنك لستِ إنانية .

فردت أودري بسرعة ووجهها تعلوه الحمرة : دعونا نرى أياً منا أكثر انكارا لذاته ، فلنقارن بين خناصرنا ، إن خنصري أقصر من خنصرك يا كاي .

- لكني أظن أن توماس يتفوق علي .

قال نيفل : أنا أتفوق عليكم جميعا ، انظروا .

ومد أحدى يديه فقالت كاي : إنك تتفوق بيد واحدة فخنصر يدك اليسرى قصير لكن خنصر يدك اليمنى أطول بكثير .

سألت ماري إيلدن : هل تقرئين الكف يا كاي ؟

مادة إليها يدها مستطردةً قائلة : قال لي أحد العرافين بأنني سأتزوج مرتين وسأرزق بثلاثة أولاد ، فإذا صح ذلك فعلي أن أتعجل الزواج .

قالت كاي وهي تنظر في يد ماري : هذه الصلبان الصغيرة تدل على عدد الرحلات

لا على عدد الأولاد ، إنك ستقومين بثلاث رحلات عبر البحر .

قالت ماري إيلدن : وهذا أيضا بعيد الاحتمال .

سألها توماس رويد : هل سافرتِ كثيرا ؟

- لا .

وكان في صوتها رنة أسف

فقال لها : هل تودين السفر ؟

- بل إنني أتمناه أكثر من أي شيء آخر .

- هل أقمتِ مع السيدة تريسليان مدة طويلة ؟

- منذ خمسة عشر عاما ، أقمت معها بعد وفاة أبي وقد بقي أبي مريضا طريح الفراش عدة أعوام قبل وفاته .

صمتت قليلا ثم أجابت على السؤال الذي توقعت أنه يفكر فيه .

- إنني في السادسة والثلاثين من عمري أليس هذا ما أردت أن تعرفه ؟

- الواقع يتعذر على من يراك أن يقدر سنك .

- هذه ملاحظة ذا حدين .

- أعتقد ذلك لكني لم أتعمدها .

ولم يحول عينيه عن وجهها فلم تشعرها نظراته بالإحراج أو الارتباك وعندما استقرت عيناه على شعرها رفعت يدها إلى الخصلة البيضاء وقالت : هذه يرجع عهدها إلى أيام الصبا .

قال برقة : إنها تعجبني .

وظل ينظر إليها فقالت وهي تبتسم : والآن ما حكمك النهائي ؟

فاحمر وجهه وأجاب : أظن أنه لم يكن من الكياسة أن أنظر إليك على هذا النحو لكني كنت أود أن أعرفك على حقيقتكِ .

فتركت المائدة سائرة إلى قاعة الاستقبال متأبطة ساعد أودري وهي تقول : إن السيد تريفز سيتناول طعام العشاء معنا غدا .

قال نيفل : ومن يكون السيد تريفز هذا ؟

- إنه محامي عجوز يقيم في فندق بلمورال وقد جاء برسالة تعريف من السيد رافاس لورد ، وهو مريض بالقلب وضعيف البنية لكنه حاضر البديهة ويعرف الكثير من

الشخصيات المهمة .

5

كان الطعام شهيا والشراب جيدا والخدمة لا غبار عليها مما جعل السيد تريفز يغبط في سره السيدة تريسليان لتوفيقها مع خدمها فقد كان كل شيء يجري في نظام رغم مرض صاحبة القصر .

دار السيد تريفز ببصره بين الضيوف واستقرت عينه على الصبية الفاتنة زوجة نيفل سترينج ، كان جمالها يتألق في ضوء الشموع التي تنير قاعة الطعام وكانت تدني رأسها بين الفينة والفينة من رأس أدوارد لاتيمر وتضحك في سرور ومرح وتدير البصر بمن حولها كما تفعل المرأة التي تثق بنفسها وتشعر بأنها سيدة الحفل ، وأحس السيد تريفز أمام هذه الفتنة الطاغية والحيوية المتدفقة بأن دم الشباب يجري في عروقه من جديد

وقال لنفسه : لا عجب إذا كان زوجها قد فقدَ صوابه فهجر زوجته الأولى من أجلها .وكانت أودري تجلس بجواره وقد أحس لأول وهلة بأنها سيدة مهذبة على خلق عظيم ولكنه كان يعلم بخبرته إن هذا النوع من النساء هو الذي يهجره الأزوج .نظر إليها من ركن عينه فرآها

مطرقة برأسها تنظر إلى الطبق أمامها دون أن تحرك ساكنا ، فتساءل في نفسه : ترى فيما تفكر ؟

شرع الضيوف في الانتقال من قاعة الطعام إلى غرفة الاستقبال ، وأدارت كاي الجرافون ليرسل أنغم موسيقى أحدى الرقصات فالتفتت ماري إيلدن إلى السيد تريفز وقالت معتذرة : لا شك أنك تكره موسيقة الجاز .

فقال كاذبا ولكن في أدب : لا إطلاقا .

- سنلعب لعبة البريج فيما بعد فإنني أعلم أن السيدة تريسليان سترسل في طلبك .

كانت كاي تتهادى في وسط الغرفة ولم تلبث أن قالت بلهجة الأمر وعيناها تتألقان : انقل هذه المائدة من هنا يا نيفل حتى يتهيأ مكان للرقص .

فأطاع نيفل ونقل المائدة من مكانها ثم تقدم ناحية كاي ولكنها أعرضت عنه عمدا وقالت : تعال يا أدوارد ، دعنا نرقص .

فخف إليها أدوارد على الفور فأحاط خصرها بساعده ورقص الاثنان معا رقصة تناسقت فيها خطواتهما وحركتهما أثارت الإعجاب مما حمل السيد تريفز على التمتمة

قائلا : ما أروع رقصهما كأني بهما من المحترفين .

وسمعته ماري إيلدن فنظرت إلى وجهه المجعد لعلها تفهم ماذا عنى بعبارته ولكن العجوز كان مستغرقا في التفكير .

فقالت لتخرجه من صمته : إن الجو دافئ بالنسبة لهذا الشهر م السنة أليس كذلك ؟

قال : آه حقا ، رغم أن المزارعين في هذه المنطقة بحاجة إلى أمطار هكذا قيل لي في الفندق .

- هل أنت راضٍ عن الإقامة في فندقك ؟

- نعم رغم أنني تضايقت كثيرا عندما ...

ولم يتم عبارته فقد رأى نيفل ينهض عن مقعده ويتردد لحظة ثم يقترب من أودري التي كانت تطل من النافذة وهناك قاللها في أدب وبصوت فاتر : هل ترقصين يا أودري ؟

فالتفتت أودري ثم ئأطرقت برأسها موافقة ، فصال الاثنان بضع دقائق وفجأة قالت أودري : وهي تضحك : إن الحر شديد ولا يشجع على الرقص .

فابتعدت عن نيفل وخرجت إلى الشرفة ، هنا غمغمت ماري إيلدن اتبعها أيها الغبي .

وعلى الرغم من أن صوتها كان خافتا إلا أن السيد تريفز قد سمعها فنظر إليها في دهشة فارتبكت واحمر وجهها وقالت ضاحكة : كنت أفكر بصوت مرتفع فإن إبطاءه يغيضني .

- من تعنين السيد سترينج ؟

- لا أعني توماس رويد .

همّ توماس باللحاق بأودري في الشرفة ولكن نيفل سبقه إليها وأرسل السيد تريفز بنظره إلى الشرفة لحظة ثم رده إلى الراقصين وقال : إن السيد لاتيمر راقص بارع هل هو صديق قديم للسيدة سترينج ؟

- نعم .

- هل يزاول هذا الشاب الأنيق عملا ما ؟

- الحق إنني لا أعلم .

فهز السيد تريفز رأسه بطريقة لها مغزاها واستطردت ماري إيلدن قائلة : إنه يقيم في فندق إيسترهيد .

- إن رأسه بارز إلى الخلف على نحو يلفت النظر ولكنه يحاول أن يحجب هذا البروز بطريقة خاصة في تصفيف شعره .

صمت قليلا ثم عاود الحديث قائلا : آخر رجل رأيت له مثل هذا الرأس حُكِم عليه بالأشغال الشاقة لاعتدائه على تاجر جواهر عجوز .

- لا شك أنك لا تعنيه .

فقاطعها قائلا بسرعة : لا على الإطلاق ، إنك تسيئين فهمي ، ما قصدت التعريض بأحد ضيوفك إنما أردت أن أقول إن المجرم العتيد والشاب الأنيق الظريف يمكن أن يشتركان في بعض الصفات الجسدية .

فنظرت إليه طويلا ثم قالت : إنك تخيفني يا سيد تريفز .

- حقا ، ولماذا يا سيدتي العزيزة ؟

- إنك قوي الملاحظة لا يفوتك شيء .

- إن عيني لم يدركهما ضعف أو وهن ولا أدري هل ذلك من حسن الحظ أَم من سوئه .

- كيف يمكن أن يكون ذلك من سوء الحظ ؟

- إن قوة الملاحظة تضع الإنسان أحيانا في موقع المسؤولية حيث يتعذر عليه اتخاذ القرار السليم .

وفي هذه اللحظة دخل كبير الخدم حاملا أقداح القهوة فأومأت إليه ماري إيلدن أن يضعها على أحدى الموائد .

قالت كاي وهي تراقص لاتيمر : سأتناول القهوة بعد الفراغ من هذه الرقصة .

قالت ماري : سأحمل إلى أودري قدحا .

وحملت القدح وسارت به إلى الشرفة فتبعها السيد تريفز وأطل من فوق كتفها فرأى أودري جالسة على حاجز الشرفة وأشعة القمر تضيء وجهها وتبرز جمال تقاطيعه ونبل قسماته ، وكانت ساكنة صامتة لا تأتي بحركة ولا تنطق بكلمة ، ونيفل على كَثَب منها يتفرس في وجهها ولا يحول عينيه عنها ، وأخيرا خطا نيفل خطوة للأمام وبدأ يتكلم ،

قال : الحق يا أودري إنكِ ...

ولكنها وضعت أصبعها على أذنها ووثبت من مكانها فجأة وهي تقول : قُرطي لقد أضعت قُرطي .

- أين ؟

وانحنى الاثنين للبحث عن القرط وارتطم رأساهما فتراجعت أودري على الفور فصاح نيفل : صبرا لحظة ، لقد اشتبك زر كمي بجدائلك لا تتحركي .

وأخذ يحاول تخليص شعرها من زر الكُم .

فقالت بعد قليل : اسرع وكن حذرا ، إنك تقتلع شعري من جذوره .

- آسف يا أودري ، .

وفي ضوء القمر الساطع رأت ماري إيلدن والسيد تريفز أن أصابع نيفل ترتجف بشدة وهو يحاول فصل زر كمه من شعر أودري ، وفي هذه اللحظة شق توماس رويد طريقه من بين ماري وتريفز ومضى إلى حيث كان نيفل وأودري وقال : هل تسمحان لي بمساعدتكما ؟

فرد نيفل : شكرا لقد نجحت أخيرا .

رفعت أودري رأسها ثم تراجعت قليلا فلاحظ توماس أن رجفة مرت بجسدها فقال لها : هل تشعرين بالبرد ، هلُمي إلى الداخل لتتناولي قهوتكِ .

ورافقها إلى قاعة الاستقبال في اللحظة التي فُتِحَ فيها باب القاعة ودخلت امرأة طويلة القامة ترتدي ثوبا أسود وقالت باحترام : يسر السيدة تريسليان أن تستقبل السيد تريفز في غرفتها .

كان سرور السيدة تريسليان بلقاء السيد تريفز واضحا ، ولم تمض بضع دقائق على اجتماعهما حتى كانا يخوضان معا في خضم الذكريات ،

وأخيرا تنهدت السيدة بارتياح قائلة : لقد أمتعني حديثك يا سيد تريفز ، فليس هناك أجمل من حديث عن الماضي وإزالة الغبار عن الفضائح القديمة .

فقال تريفز : إن الحديث عن فضائح الناس وإن يكن خطيئة إلا أني أعده من توابل الحياة .

- بهذه المناسبة يا سيد تريفز ما رأيك في النموذج الطريف للمثلث الأبدي ؟

فنظر إليها في فضول وسأل : أي مثلث ؟

-- لا تزعم أنك لم تلاحظ شيئا ، إنني أعني نيفل سترينج وزوجتيه .

- آه إن السيدة سترينج الجديدة سيدة رائعة الجمال .

- وكذلك أودري .

- نعم ، إنها ظريفة .

- هل تريد أن تقول أنك تجد مبررا لأن يترك الرجل امرأة ذات شخصية نادرة مثل

أودري من أجل مخلوقة مثل كاي ؟

فأجاب بهدوء : نعم ذلك يحدث غالبا .

- لو أنني كنت رجل لسأمت كاي بعد وقت قصير ولندمت على حماقتي .

- وذلك أيضا يحدث غالبا ، إن الافتتان الفجائي قَلما يعمر طويلا .

- وماذا يحدث بعد إذن ؟

- يحدث عادة أن يحدد كل من الطرفين موقفه وغالبا ما يقع الطلاق ويتزوج الرجل للمرة الثالثة من امرأة تعطف عليه .

- هراء ، إن نيفل ليس من هواة تعدد الزوجات .

- يحدث أحيانا أن يعود الزوج إلى زوجته الأولى .

فهزت السيدة رأسها وقالت : لا ، إن كبرياء أودري وكرامتها يحولان دون ذلك .

- لقد عرفت من خبراتي أن المرأة تتنكر لكل اعتبارات الكرامة إذا كان الأمر متعلق بالحب ، إنها تتشدق بالكرامة لكنها لا تقيم لها وزنا في تصرفاتها .

- أنت لا تعرف أودري إنها كانت تحب نيفل حبا عنيفا فحينما هجرها من أجل فتاة انهارت . أنا لا ألومه كل اللوم فقد طاردته الفتاة بإلحاح حتى اقتنصته . لقد أكدت أودري أنها لا تريد أن تراه مرة أخرى .

فسعل السيد تريفز بهدوء وقال : ومع ذلك فإنها قدمت إلى هنا .

- لستُ أزعم أني أفهم الأفكار الحديثة ولكني أعتقد أن أودري إنما جاءت لكي يعلم الجميع إنها لا تحفل بنيفل .

- ربما ، لكني أشعر أن في الجو توترا وقلقا .

- هل شعرت بذلك أنت أيضا :؟

- إنني أعرف أحاسيس الأطراف ذات الشأن ولكني أشعر كأن في هذا القصر برميل بارود يمكن أن ينفجر في أي لحظة .

- دعك من الإسراف في التشاؤم وحدثني ماذا ينبغي أن أفعل ، إنني لن أطالب أودري بالرحيل فقد كان سلوكها في هذا الموقف الدقيق سليما ومؤدبا ولا غبار عليه .

- هذا صحيح ولكن سلوكها رغم استقامته له تأثير واضح على نيفل سترينج .

- إن نيفل سيتصرف ، وسوف أصارحه بذلك ولكنني لا أستطيع أن أطالبه أيضا بالرحيل فقد كان ماتيو يعتبره ابنه .

- أعلم ذلك .

-- هل تعلم أن ماتيو مات غرقا ؟

- نعم .

- لقد دُهشَ الكثيرون لأني لم أنتقل من هذا القصر بعد وفاة ماتيو ، وأنا في الواقع أشعر بأنه علَى مَقْرُبة مني هنا ، إن القصر مليء به ومن المحقق أني سأشعر بالوحدة والعزلة إذا أقمت في مكان آخر ، كنت أرجو في البداية أن ألحق به بسرعة ، خاصةً حين اعتلت صحتي ولكن يبدو أنني من أولئك المرضى المأبودين الذين لا يموتون أبدا .

وتنهدت بحزن واستطردت قائلة : كنت أتمنى متى حانت ساعتي أن أرى الموت وجها لوجه لا أن أشعر به يتسلل من ورائي ، فأهبط إلى درك أدنى عقب كل مرض أحس أني عالة على الآخرين .

- أنتِ لسْتِ عالة على أحد ، الجميع هنا يُخْلِصون لكِ ، هل لديكِ وصيفة أمينة ؟

- لدي جين باريت المرأة الطويلة التي استدعتك لمقابلتي ، إنها حازمة ومُخْلصة لقد قضت في خدمتي سنوات عديدة .

- ومن حسن حظك إن لديك كذلك الآنسة ماري إيلدن .

- أصبت ، وأنا سعيدة لوجودها معي .

- هل هي أحدى قريباتكِ ؟

- إنها تنتسب إلى أسرتي من بعيد ، ومن أبرز صفاتها أنها تمتاز بإنكار الذات فهي من أولئك الذين يضحون بحياتهم من أجل الآخرين ، كانت تعتني بأبيها المريض فلما مات رجوتها أن تقيم معي وإني أبارك اليوم الذي جاءتني فيه ، إنها ذكية ورزينة وواسعة الاطلاع وفي استطاعتها أن تناقش أي موضوع يطرح للبحث وهي فضلا عن ذلك مدبرة من الطراز الأول تعرف كيف تسوس الخدم دون أن تثير عوامل الخلاف والغيرة بينهم وإني لأعجب كيف تستطيع ذلك لا شك إنها على جانب كبير من الكياسة .

- هل تقيم معكِ منذ وقت طويل ؟

- منذ ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاما .

هنا أطرق السيد تريفز برأسه ونظرت إليه السيدة تريسليان من ركن عينها خلسة ثم قالت بغتةً : ماذا بك هل هناك ما يشغلك ؟

- لا كنت أفكر في أمر تافه ولكنكِ قوية الملاحظة يا سيدتي .

- إنني مولعة بدراسة الناس وكنت دائما ألاحظ ماتيو وأعلم بما يدور في خلده .

ثم تنهدت واستلقت على فراشها وقالت : يجب أن أودعك الآن أيها الصديق فإنني متعبة ، وقد أمتعتني بهذا اللقاء وأرجو أن أراك مرة أخرى قريبا .

- كل ما أرجوه ألا أكون قد أثقلت عليكِ بالحديث .

- لا لا ، إنني دائما أشعر بالتعب ، فهل لك أن تدق الجرس قبل أن تنصرف ؟

وأشارت إلى شريط يتدلى فوق الفراش .

فقال السيد تريفز : هذا نوع من الأجراس قد عفا عليه الزمن .

- إنني لا أطيق الأجراس الكهربائية فهي سريعة التلف أما هذا النوع من الأجراس فإنه لا يعطب أبدا ، إنني أجذب هذا الشريط فيدق الجرس المتدلي فوق فراش جين باريت فتلبي دعوتي دون إبطاء .

جلب السيد تريفز الشريط وغادر الغرفة دون إبطاء وما كاد يسير بضع خطوات حتى رأى جين باريت تهبط درج السلم مسرعة .

عاد تريفز إلى قاعة الاستقبال وما أن أبصرته ماري إيلدن حتى اقترحت عليه أن يلعب الجميع البريج ولكن المحامي العجوز رفض بأدب بحجة أنه سينصرف بعد قليل ، .

قال :إن أصحاب الفندق الذي يقيم فيه يطالبون النزلاء بالعودة قبل منتصف الليل .

فقال نيفل : والكن الساعة الآن العاشرة والنصف فهل تتوقع أن يوصدوا باب الفندق قبل عودتك ؟

- لا بل أشك أن يوصدونه في أي وقت ، إنهم يغلقون الباب وما على القادم إلا أن يحرك المقبض ويدخل يخيل إلي أن أهل هذه المنطقة أمناء .

فقالت ماري إيلدن : في الواقع أن لا أحد هنا يغلق بابه نهارا ، إن بابنا يظل مفتوحا طول النهار ولكننا نوصده ليلا .

قال أدوارد لاتيمر : كيف الحال في فندق بالمورال أن مبناه يبدو شديد الكآبة ؟

فقال تريفز : لكنه يجمع كل وسائل الراحة ، أَسرة كبيرة وطعام جيد ودواليب ضخمة وحمامات فسيحة .

قالت ماري إيلدن أذكر أنك قلت أن شيئا ما قد ضايقك عندما ذهبت إلى هذا الفندق .

- الواقع أنني كتبت لهم طلبا أن يجهزوا لي غرفتين في الطابق لأنني مريض بالقلب ومحضور علي ارتقاء السلم ، لكني عندما وصلت إلى الفندق وجدت أن جميع

الغرف في الطابق الأرضي مشغولة وإنهم قد حجزوا لي غرفتين في الطابق الثاني فكدت أن أحتج وأعود من حيث أتيت إلا أني وجدت في الفندق مصعدا مريحا .

قالت كاي : لماذا لا تقيم في فندق بالمورال يا أدوارد لكي تكون أقرب إلينا ؟؟

أجاب الشاب : إنه فندق عتيق ولا أظنه يلائمني .

قال تريفز : أصبت يا سيد لاتيمر إنه لا يلائم أمثالك .

احمر وجه الشاب وقال : ماذا تعني يا سيدي ؟

وتوجست ماري إيلدن قلقة من أن يتطور الحوار بين الرجلين فأسرعت مبادرة بالقول : قرأت أنهم اعتقلوا أحد الأشخاص في على ذمة قضية الحقيبة التي عُثر عليها في فندق كنتش تاون وبها جثة فتاة .

فقال نيفل : هذا ثاني شخص يعتقلونه وقد ثبتت براءة الأول ، أرجو أن يكونوا قد وُفِقوا إلى الفاعل الحقيقي هذه المرة .

قال السيد تريفز :حتى لو كان هو الفاعل الحقيقي فإنهم لن يستطيعوا اعتقاله طويلا .

فسأله رويد : لماذا ، ألِعدم كفاية الأدلة ؟

- نعم .

قالت كاي : إنهم يجدون الأدلة دائما في النهاية .

قال تريفز : ليس دائما يا سيدة سترينج ، وسوف تدهشين إذا عرفت عدد الأشخاص الذين ارتكبوا جرائم القتل ومازالوا يعيشون أحرارا لا يعترض طريقهم أحد .

- لأن لا أحد يعلم بأنهم الفاعلون .

- ليس ذلك فقط ، فهناك مثلا القضية التي شغلت الرأي العام قبل سنتين فالبوليس يعرف الرجل الذي قتل أولئك الأطفال بل ويعرفه على وجه اليقين لكنه لا يستطيع حياله شيئا إذ شهد شخصان بأن المتهم كان بعيدا عن مكان الجريمة وقت حدوثها وعلى الرغم من أنهم كانوا متأكدين من أن الشاهدين كانا شاهدا زور ومع ذلك لم يستطيعوا إقامة الدليل على

إثبات كذبهما والقاتل لا يزال حرا طليقا .

فدق توماس رويد غليونه وقال : هذا يؤكد فكرة جالت بخاطري ، على أنه يحق للأنسان في ظروف معينة أن يجعل من نفسه قاضيا وجلادا وينفذ حكم العدالة بنفسه ، .

- ماذا تعني يا سيد رويد ؟

- هَب أنك علمت أن رجلا ارتكب عملا وإن القانون لا يستطيع النيل منه لسبب أو لآخر ألا يجوز لك أن تقتص منه بنفسك ؟

- هذا مبدأ شديد الخطورة يا سيد رويد .

- إنني أفترض حقائق ثابتة وإن القانون عاجز .

- ذلك لا يبرر أن يقوم الفرد بوظيفة القانون إنني أعرف قضية ...

وصمت لحظة ثم استطرد معتذرا : إنني من هواة علم الجريمة ..

فقالت كاي : امضِ في حديثك يا سيد تريفز ماذا أردت أن تقول ؟

- لقد مر بي الكثير من القضايا والجرائم وكان عدد ضئيل منها جديرا بالاهتمام وسأحدثكم الآن عن إحداها ، .

ثم راح يتكلم بهدوء ووضوح قائلا : القضية التي سأحدثكم عنها بطلها طفل لا أذكر اسمه أو سنه لكني أذكر أنهما كانا طفلان يلعبان بالأقواس والسهام فأطلق أحدهما سهما أصاب الآخر في مقتل وصرعه على الفور ، وجرى تحقيق مع الطفل المعتدي وقد كان في حالة يرثى لها من الحزن والأسى ، بحيث أصبح موضع عطف الجميع .

وصمت السيد تريفز فصاح لاتيمر : وانتهى الأمر ؟

- نعم أنتهى الأمر ، كان حادثا يؤسف له وقع قضاءً وق\دراً ولا حيلة للقانون فيه ، ولكن كان للقصة وجه آخر فقد حدث قبل ذلك ببضعة أيام أن كان أحد المزارعين يمر بغابة قريبة فشاهد طفلا على استعمال القوس والسهم ...

وصمت تريفز مرة أخرى ليسمح لعقول السامعين باستيعاب هذه الحقيقة .

فهتفت ماري : هل تعني أن الحادث لم يكن قضاءً وقدرا وإنما كان متعمدا ؟

- لا أعلم ولا أستطيع أن أقطع برأي فلقد قيل في التحقيق أن الطفلين لم تكن لهما دراية باستخدام الأقواس والسهام وإن الحادث وقع نتيجة لذلك .

- وما قيل لم يكن صحيحا ؟

- لم يكن صحيحا بالنسبة لأحد الطفلين على الأقل .

قالت أودري بصوت خافت : وماذا فعل المزارع ؟

- لم يفعل شيئا ، ولستُ أدري هل أخطأ بذلك أَم أصاب ، كان مستقبل الطفل المتهم في خطر ولعل المزارع رأى أن من حق الطفل أن يُمنح فرصة الإفادة من الشك لأن المزارع لم يكن واثقا من أن الطفل الذي رآه هو نفس الطفل المتهم .

قالت أودري : وأنت هل خامرك شك بشأن الحقيقة فيما حدث فعلا ؟

أنا شخصيا أعتقد أن الحادث كان جريمة قتل بارعة دُبِرت بمهارة وتمت دراستها جيدا قبل تنفيذها .

- وهل كان لها سبب؟

- كان سببها المعاكسات والألفاظ الغير كريمة التي يتبادلها الأطفال فتثير كراهية بعضهم للبعض الآخر ، إن الكراهية تتولد في نفس الأولاد بسهولة .

قالت ماري : ولكن تدبير الجريمة والإصرار على تنفيذها .

- نعم ونية القتل والتدريب يوما بعد يوم على إطلاق السهم وإصابت الهدف ثم التظاهر بالحزن واليأس كلها أمور لا يمكن أن يصدقها عقل ولو طرحت أمام المحكمة لما صدقتها .

فسألت كاي في فضول : وماذا كان مصير هذا الطفل ؟

=- بعد الضجة التي أثيرت في الصحف حول القضية رأى أهل الطفل من الأفضل تغيير اسمه ، وتم لهم ذلك وقد أصبح الطفل الآن رجلا ناضجا يعيش في مكان ما على سطح هذه الأرض ، ولكن السؤال المهم هو هل مازال يحتفظ بنزعاته الإجرامية ؟

وأطرق السيد تريفز برأسه مفكرا ثم استطرد قائلا : مضت سنوات عديدة لكني أستطيع التعرف على القاتل الصغير حالما يقع عليه بصري في أي مكان .

فهتف رويد بلهجة من لا يصدق ما سمع : أيمكن هذا ؟

أجاب تريفز : نعم ، لأن في جسده علام مميزة ولكن دعنا من الحديث في هذا الموضوع إنه ليس من الموضوعات السارة ، أظن أن علي وجوب العودة إلى الفندق الآن .

نهض واقفا وهنا قالت ماري : ألا تتناول شيئا من الشراب يا سيد تريفز ؟

وكانت صفحة الشراب على المائدة .

قال توماس رويد : هل لك بكأس من العصير يا سيد تريفز وأنت يا سيد لاتيمر .

قالت أودري : إنني متعبة سأذهب لأنام .

وقالت ماري : وأنا أيضا ، أرجوك أن تعنى بالسيد تريفز يا توماس .

قالت كاي وهي تتثاأب : أكاد أسقط من الإعياء طاب مساؤكم .

وانصرفت النساء الثلاثة .

قال لاتيمر يحدث السيد تريفز : سأسير معك في نفس الطريق يا سيدي إنه يؤدي إلى حيث يوجد زورق العبور .

- سوف يسرني أن أكون برفقتك يا سيد لاتيمر .

وقضى تريفز اللحظات التالية في ارتشاف الشراب والاستفسار من توماس رويد عن الحياة في الملايو ، ولم يلبث لاتيمر أن أحس بالسأم فاستأذن في الخروج إلى الشرفة حيث كان نيفل ، وشيعه تريفز ببصره حتى خرج ثم قال : هذا الشاب كثير الحركة ولا يقر له قرار هل هو صديق للسيد سترينج فقط ؟

قال رويد مصححا : للسيدة سترينج .

- هذا ما أعنيه فإنه ليس الطراز الذي ترضيه السيدة أودري سترينج كصديقة ، هل أنت صديق للسيدة أودري يا سيد رويد ؟

- نعم .

- لا بد أنها كانت على جانب كبير من الجمال وهي شابة ؟

فأطرق توماس برأسه ولم يجب .

قال المحامي الشيخ : إن وجود الزوجتين تحت سقف واحد يضع أودري في مركز دقيق .

فقال توماس وقد احمر وجهه : بل غاية في الدقة والحرج .

فانحنى تريفز إلى الأمام وقال بحدة :ولماذا جاءت يا سيد رويد ؟

- أعتقد إنها لم تشأ الرفض

- ترفض ماذا ؟

- الواقع أنها اعتادت القدوم إلى هذا القصر في شهر أيلول من كل عام .

- ورغم ذلك أقدمت السيدة تريسليان على دعوة نيفل وزوجته الجديدة للإقامة عندها في نفس الشهر ؟

- أعتقد أن نيفل هو الذي طلب ذلك .

- أتعني أنه كان يرغب في اللقاء بين الزوجتين ؟

- هذا ما أظنه .

وفي هذه اللحظة أقبل نيفل ولاتيمر من الشرفة فقال تريفز وهو ينهض : أظن أني يجب أن انصرف الآن

قال ذلك ثم ارتدى معطفه وودع نيفل .

ثم غادر البيت في طريقه إلى فندق بالمورال وبرفقته أدوارد لاتيمر وتوماس رويد

.

وكان الفندق يقع على مسافة 100 متر بينما كان مرفأ زوارق العبور يبعد 300 متر .

فتح تريفز باب الفندق ودخل وتبعه الرجلان وكان البهو معتما لا يضيءه سوى مصباح واحد صغير ، وفجأة أفلتت من تريفز آهة تدل على الضيق حيث رأى على باب المصعد ورقة كُتِب عليها المصعد معطل .

قال المحامي العجوز : يا إلهي يجب أن أصعد كل هذه الدرجات .

قال رويد : ألا يوجد مصعد آخر لنقل البضائع والحقائب ؟

- لا ، إنهم يستخدمون هذا المصعد في جميع الأغراض ، لا مناص من أن أصعد سيرا على الأقدام ، سأسير ببطء طاب مساؤكما .

6

قالت ماري إيلدن : ما أشبه اليوم بأيام الصيف .

كانت تجلس مع أودري على شاطئ البحر أمام شرفة فندق إيسترهيد وكانت أودري ترتدي ثوب استحمام ناصع البياض تبدو فيه أشبه بتمثال من الرخام بينما كانت كاي مستلقية على وجهها فوق الرمال على بعد خطوات منهما ، وقد سمعت كاي عبارة ماري إيلدن فاعتدلت جالسة وقالت : ولكن الماء بارد كالثلج .

قالت ماري : لا تنسي أننا في شهر أيلول .

- كم أود الآن أن أكون في جنوب فرنسا إن الجو هناك في مثل هذا الوقت من السنة دافئ تماما .

قال أدوارد وقد كان يعبث بالرمال عند قدمي كاي : إن اشمس في إنكلترا ليست شمسا على الإطلاق .

قالت ماري : ألا تنوي النزول إلى الماء يا سيد لاتيمر ؟

فضحكت كاي وقالت : إن أدوارد لا ينزل إلى الماء أبدا ، إنه يحب الإصطلاء في الشمس كالثعبان .

ثم نهضت وهي تقول : إنني أشعر بالبرد هلُمَ بنا يا أدوارد .

فابتعدا معا وهنا قالت ماري وهي تشيعهما ببصرها : كالثعبان حقا .

فسألتها أودري : أهذا رأيك فيه ؟

فلم تجبها ماري وقالت وهي ترقب كاي وأدوارد : ما أخلق كلا منهما بالآخر ، إنهما يحبان نفس الأشياء ولهما نفس الآراء ويتكلمان بنفس الأسلوب ، إنه لمن دواعي الأسف حقا أن ...

وكفت عن الكلام ، فسألتها أودري بحدة : أن ماذا ؟

- أن قابلها نيفل .

فاعتدلت أودري في جلستها ورمقتها بنظرة صارمة فاستدركت ماري على الفور قائلة : أنا آسفة يا أودري ، كان يجب ألا أقول ذلك .

- أرجوكِ لا تخوضي في هذا الموضوع مرة أخرى .

- أنا آسفة حقا ولكني كنت أظن أن الأزمة انتهت وإنك تغلبتِ عليها .

- أؤكد لك إنه لم تكن هناك أي أزمة وأن الموضوع لم يترك في نفسي أي أثر وأنا أتمنى لنيفل وكاي كل السعادة .

- هل تشعرين بالبرد ؟

- نعم ، وأظن أنه يحسن بي أن أرتدي ثيابي .

قالت ذلك ونهضت بينما بقيت ماري وحدها فتمددت على الرمال ، وأغمضت عيناها .

كانوا جميعا قد قضوا يوما ممتعا على الشاطئ وقد تناولوا طعام الغداء في الفندق الذي كان يعج بالنزلاء رغم انصرام الصيف وأحسوا بلذة الراحة والاسترخاء بعيدا عن القصر وجوه المشحون بعوامل القلق والتوتر .

تنبهت ماري من تأملها على حركة بالقرب منها فرفعت رأسها ورأت أدوارد لاتيمر يلقي بنفسه على الرمال بجوارها ، فسألته : ماذا فعلت بكاي ؟

فأجابها بإيجاز : أخذها صاحبها الشرعي .

وكان في صوته ولهجته ما جعلها تعتدل جالسة وترسل بصرها إلى حيث كان نيفل وكاي يسيران الهوينة على حافة الماء ثم نظرت بسرعة إلى أدوارد فقد كانت الصورة التي انطبعت في ذهنها عنه إنه شاب منحرف غريب الأطوار لكنها أحست الآن بأنها أمام إنسان جريح موتور .

فقالت تحدث نفسها : لا شك أنه كان مولعا بكاي ثم جاء نيفل فانتزعها منه .

قالت له بلطف : أرجو أن تكون قد استمتعت بإقامتك هنا ؟

وقد كانت عبارتها دارجة مألوفة لكن صوتها كان رقيقا ودودا ينطوي على دعوة للتفاهم والصداقة ، فاستجاب الشاب للدعوة وقال : ليس أكثر مما لو أقمت في أي مكان آخر .

- إنني آسفة .

- ولماذا الأسف وماذا يهمك من إنسان غريب عن بيئتكم ؟

وأحست بما في إجابته من مرارة وتفرست طويلا في وجهه الوسيم ثم قالت : أرى أنك لا تحبنا ؟

فضحك ضحكة قصيرة وقال : وهل كنت تتوقعين أن أحبكم ؟

- كنت أظن أننا رحبنا بك وأكرمنا وفادتك كصديق لكاي .

فقال ساخرا : أنا كصديق لكاي ؟

- هل لك أن تحدثني بصراحة لماذا تمقتنا ماذا فعلنا ، وما هو عيبنا ؟

- عيبكم الحذلقة ، إنكم تنعمون بأطايب الحياة كأنها حقكم الموروث وتنظرون إلى أمثالي نظرتكم إلى حيونا خارج الحضيرة .

- قد يكون في سلوكنا ما يستوجب النقد لكننا في الواقع لسنا من الرداءة كما تتصور وسأضرب لك مثلا في نفسي ، فأنا في هذه اللحظة أشعر بأشد الأسف لأنك تعس وأتمنى أن أفعل أي شيء للترفيه عنك .

- جميل أن يكون هذا شعورك .

- هل تحب كاي منذ وقت طويل ؟

- منذ وقت طويل جدا .

- وهل هي تحبك ؟

- كنت أعتقد ذلك إلى أن جاء نيفل .

- وهل مازلت تحبها ؟

- أظن أن ذلك واضح .

فصمتت ماري إيلدن لحظة ثم قالت : ألا ترى من الأفضل أن ترحل من هنا ؟

- لماذا ؟

- لأن وجودك هنا يزيدك ألما .

فنظر إليها وضحك قائلا : إنك مخلوقة طيبة ولكنك لا تعرفين شيئا عن

الوحوش التي تجوس حول بيتكم ، إن أحداثا مهمة قد تقع في القريب العاجل .

سألته بحدة : أي أحداث تعني ؟

- صبرا سوف ترين .

7

ارتدت أودري ثيابها وقصدت إلى رالبوة المطلة على البحر وكان توماس رويد يجلس فوق صخرة بارزة وغليونه في فمه ، أدار رأسه حين شعر باقترابها ولكنه لم يتحرك من مكانه وجلست أودري بجواره دون أن تنطق بكلمة وساد بينهما صمت عميق مريح كذلك الذي يسود أحيانا بين شخصين يعرف كل منهما الآخر حق المعرفة ،

وحينها قالت أودري وهي ترسل ببصرها ناحية قصر السيدة تريسليان وكان يقع بمواجهة الربوة : كم يبدو القصر قريبا .

- نعم ، وبوسعنا أن نصل إليه سباحة .

- ليس عندما يكون هناك مد كما هو الحال الآن ، كانت لدى السيدة تريسليان وصيفة مولعة بالسباحة ولقد حاولت مرة أن تعبر هذه المنطقة سباحةً فقذفت بها الأمواج إلى مصب النهر ولم تنجُ من الغرق إلا بصعوبة .

- لكني لا أرى هنا لافتة تحذر من الخطر .

- إن التيارات الخطيرة ليست في هذا الجانب وإنما في الجانب الآخر حيث يوجد القصر ، إن الخطورة هنا هي ناحية الربوة من حيث عمق الماء ، لقد حاول أحد الشبان في العام الماضي الانتحار بإلقاء نفسه من فوق هذه الصخرة التي نجلس عليها الآن ولكنه ارتطم بشجرة لم يفطن إليها فعلقت ثيابه بأغصانها إلى أن جاء حراس السواحل فأنقذوه .

- مسكين ، أنا واثق أنه لم يشكر منقذيه ، إن الإنسان لا يتمالك من الشعور بخيبة الأمل حين يوطن العزم على الخلاص من حياته ثم يجد أنه أُنقِذ على الرغم منه ، .

فتنهدت أودري وقالت : من يدري لعله الآن سعيد لأنه لم يمت .

فنظر إليها من ركن عينه وهي مستغرقة في التأمل والتفكير ولاحظ طول أهدابها وجمال قسماتها وصغر أذنيها وذكره ذلك بشيء فقال : بهذه المناسبة لقد عثرت على القرط الذي سقط منك ليلة أمس .

دس يده في جيبه وأخرج القرط فقالت : أين وجدته في الشرفة ؟

- لا ، كان على مقربة من درج السلم .

تناولت منه القرط وكان ضخما بالقياس إلى أذنها الصغيرة فقال توماس : ألا تخلعينه حتى وإن كنت تستحمين ألا تخشين أن تفقديه ؟

- إن أقراطي جميعا من النوع الرخيص ،ولكني لا أحب الظهور بدونها بسبب هذا ...

وأشارت إلى أثر جرح قديم في أذنها اليسرى .

فقال توماس :آه ، هاهنا عضك ذلك الكلب العجوز.

أطرقت أودري برأسها علامة الإجاب إذ كانت وهي طفلة قد أسندت رأسها إلى ظهر كلب وكان الكلب يعاني جرحا في ساقه فضاق بها وعض أذنها .

قال توماس : ولكن الأثر الذي تخلف عن العضة لا يكاد يُرى .

- إني لا أطيق بوجهي ما يعيبه .

كان رويد يعرف مدى حرصها على الكمال ، فقد كانت هي كلها مثالا للكمال في كل شيء .

قال : إنك أجمل كثيرا من كاي .

- كلا يا توماس إن كاي جميلة جدا .

- ظاهريا .

- هل تعني جمال الروح ؟

- لا بل أعني جمال الهيكل العَظمي .

فضحك أودري وتشاغل توماس باشعال غليونه ثم قال بهدوء : ماذا بك يا أودري يخيل أن هناك ما يجعلك مهمومة ؟

- لا ، لا شيء على الإطلاق .

- لا تنظري إلى الوراء يا أودري إنك مازلت في مقتبل العمر والمستقبل فسيح أمامك ، انظري إلى الغد لا إلى أمس .

- حدثني يا توماس ، هل أبدو في بعض الأحيان غير طبيعية ؟

- هراء ، إنكِ ...

- ماذا ؟

- إنني أفكر فيك دائما كما كنتِ قبل الزواج ، لماذا اقترنتِ بنيفل يا أودري ؟

- لأنني أحببته .

- أعلم ذلك ولكن لماذا أحببتِه ؟

- أظن أني أحببته لأنه كان إيجابيا وسعيدا وواثقا بنفسه وهي صفات كنت أفتقدها في نفسي ، ثم لأنه وسيم .

- نعم ، كان في نظرك الرجل الأنجليزي المثالي ، فهو رياضي ومتواضع ووسيم ويستطيع الحصول على كل ما يريد .

فنظرت إليه أودري بحدة وقالت ببطء : إنك تمقته أليس كذلك ؟

فتجنب نظراتها وراح يعيد اشعال غليونه الذي انطفأ ثم قال : وهل يدهشكِ أني أمقته ؟ إن لديه كل الصفات التي أفتقر إليها فهو يمارس الألعاب الرياضية ويرقص ببراعة ويتحدث بطلاقة وأنا معقود اللسان مشوه الجسم ، ثم أنه تزوج الفتاة الوحيدة التي أحببتها .

هنا أطرقت برأسها ولم تجب فواصل قوله بحدة : إنك تعلمين أني أحببتك منذ كنت في الخامسة عشر من عمرك ومازلت أحبك حتى الآن .

فأسكتته بقولها : لا ليس الآن .

- ماذا تعنين ؟

- إنني الآن أختلف عما كنت قبلا .

-كيف ؟

نهضت وهي تقول : لا أعلم إنني لست واثقة بنفسي .

ولم تكمل عبارتها ودارت على عقبيها وانطلقت مسرعة في الطريق إلى الفندق وفيما هي تثب فوق الصخور إذ بها ترى نيفل منبطحا على الأرض أمام بركة ماء بين الصخور فنظرت إليه فابتسم وقال : أهذه أنت يا أودري ؟

إنني أرقب السمكات الصغيرة وهي تعبث بالماء .

جَثَت بجانبه وراحت تنظر إلى الماء فسألها : هل ترينها ؟

- نعم .

- هل لك في لفافة تبغ ؟

فناولها لفافة أشعلها لها وراحت تدخن دون أن تنظر إليه .

قال : أودري .

- نعم

- أكُل شيء بيننا على ما يرام ؟

- بالتأكيد .

- إنني حريص على أن تقوم بيننا صداقة وطيدة .

نظر إليها بقلق فقالت : بالتأكيد بالتأكيد .

- أودري .

لكنها نهضت قائلة : إن زوجتك تلوح لك بيدها .

- من ، كاي ؟

- قلتُ زوجتك .

فنهض بدوره وراح يتفرس في وجهها ثم همس قائلا : أنت زوجتي يا أودري .

أشاحت بوجهها عنه ومضت في سبيلها بينما انطلق نيفل للحاق بزوجته .

8

عندما وصلوا إلى القصر اقترب كبير الخدم هرستال من ماري إيلدن وقال لها : إن السيدة تريد مقابلتك فورا يا آنسة ، إنها منزعجة وتريد التحدث إليك .

هرولت ماري إلى مخدع السيدة تريسليان وهناك وجدت السيدة العجوز شاحبة الوجه مضطربة الأعصاب .

هتفت السيدة تريسليان حالما رأت ماري : كم يسرني أنك عدت إيتها العزيزة ، لأنني في أشد حالات الحزن والأسى فقد مات السيد تريفز المسكين .

- مات !!! ؟

- نعم مات فجأة عقب عودته إلى غرفته مساء أمس ، يبدو أنه لم يتمكن حتى من خلع ثيابه .

- هذا أمر يدعو إلى الأسف حقا .

- كنت أعلم بالتأكيد أنه ضعيف الجسم مريض القلب فأرجو ألا يكون حدث هنا ما هاهنا ما أجهده أو أن يكون قد تناول طعاما لا يلائمه ؟

- لا أنا واثقة أنه لم يحدث شيء من ذلك القبيل ، لقد لاحظت أنه كان مرحا وفي حالة نفسية طيبة .

- إنني حزينة جدا وأرجوك أن تذهبي إلى فندق بالمورال للوقوف على المزيد من التفاصيل والاستفسار من السيدة روجرز صاحبة الفندق عما إذا كان بوسعنا عمل شيء ، سليها عن موع\ تشييع الجنازة .

- سأذهب فورا لآتيكِ بالخبر اليقين ولكني أرجوك ألا تحزني ، أنا أعلم أنها صدمة قاسية لكِ ولكن حاولي أنَ تتقبليها بمزيد من الرضوخ والهدوء .

عندما هبطت ماري إيلدن إلى قاعة الاستقبال قالت للضيوف بأسلوب هادئ : لقد ما تالسيد تريفز ليلة أمس عقب عودته إلى الفندق .

هتف نيفل : المسكين ، ماذا أصابه ؟

- يبدو أنه أصيب بأزمة قلبية .

فكر توماس قليلا ثم قال : يا هل ترى هل حصل ذلك بسبب صعوده السلم ؟

هتفت ماري : صعد السلم ؟

- نعم لقد تركته أنا ولاتيمر وهو يهم بصعود السلم .

- هل هذه حماقة منه ؟ لماذا لم يستخدم المصعد ؟

- كان المصعد معطلا .

- وكان هذا من سوء حظه ، سأنطلق إلى فندق بالمورال فالسيدة تريد أن تعرف ماذا ما إذا كان بوسعنا أن نفعل شيئا .

قال توماس : سأذهب معكِ .

وسارعا لمغادرة القصر ، وفي الطريق إلى الفندق قالت ماري : تُرى هل له أقارب يمكن إخبارهم ؟

- لا أعلم ، هل كان متزوجا ؟

- لا أظن ذلك .

عندما دخل توماس وماري الفندق كانت السيدة روجرز تتحدث إلى رجل طويل القامة يناهز الأربعين وما أن رأى الرجل ماري حتى رفع يده محييا وقال : طاب مساؤك يا سيدة إيلدن .

ردت ماري : طاب مساؤك يا دكتور لازنْبي ، دعني أقدم لكَ السيد رويد ، لقد جئنا من قبل السيدة تريسليان للاستفسار عما كان بوسعنا عمل شيء .

قالت السيدة روجرز : هذا كرم منكم .

ثم انتقل الجميع إلى غرفة الاستقبال وكانت عبارة عن غرفة صغيرة أنيقة ، وهناك

قال الطبيب : هل تناول السيد تريفز طعام العشاء عندكمليلة أمس ؟

- نعم .

- كيف كان يبدو هل كان منفعلا أو حزينا ؟

- لا كان بادي المرح والسرور طوال الوقت .

- هذا أسوأ ما في حالات مرض القلب قد يأتي الموت غالبا فجأة ، لقد قرأت قوائم الأدوية التي وصفها له الأطباء وهي لا تدل أن حالته كانت خطيرة .

قالت السيدة روجرز : لقد كان شديد العناية بنفسه وأعتقد أننا وفرنا له كل وسائل الراحة .

قال الطبيب بلباقة : أنا واثق من ذلك يا سيدة روجرز ، ولا بد أنه أجهد نفسه بطريقة ما .

قالت ماري : كأن يكون قد صعد درج السلم .

- نعم ، ولكنه ما كان ليفعل ذلك وهو يعلم مدى خطورة حالته .

قالت السيدة روجرز : إنه كان يستخدم المصعد ويصر على ذلك بشدة .

- ولكن المصعد كان معطلا ليلة أمس ولذلك ...

فقاطعتها السيدة روجرز قائلة في دهشة : إن المصعد كان يعمل طيلة ليلة أمس يا سيدة إيلدن .

هنا تدخل توماس فقال : معذرة يا سيدة روجرز فقد رافقت السيد تريفز إلى هنا وكان يوجد على المصعد لوحة تفيد أنه معطل .

هتفت السيدة روجرز : هذا غريب إن المصعد كان سليما ولم تكن هناك اللوحة التي تشير إليها ، وإن هذا المصعد لم يصب بعُطْل منذ 18 شهرا .

قال الطبيب : ألا يحتمل أن يكون أحد الخدم قد وضع هذه اللوحة بعد انتهاء فترة عمله ؟

صاحت السيدة روجرز : إنه مصعد آلي يا دكتور ولا يحتاج لشخص لتشغيله ، وعلى كل حال سأستفسر من حارس الباب .

غادرت الغرفة مسرعة وهي تنادي : جو جو .

نظر الطبيب إلى توماس في دهشة وقال : أأنت واثق مما قلت يا سيد روبد ؟

- تمام الثقة .

وعادت السيدة روجرز ومعها حارس الباب الذي أكد أن المصعد لم يكن به أي عُطْل في الليلة السابقة ، وهنا قال الطبيب : ربما أن أحد النزلاء وضع تلك اللوحة على سبيل الدعابة .

وانتهى الأمر عند هذا الحد .

قال الطبيب ردا على أسئلة ماري إيلدن إنه عرف من سائق السيارة تريفز عنوان محاميه وإنه سيتصل به ثم يذهب للقاء السيدة تريسليان لينبئها بما يمكن عمله في شأن تشييع الجنازة .

انصرف الطبيب وعادت ماري إيلدن وتوماس روبد إلى القصر وفي الطريق قالت ماري : هل أنت واثق أنك رأيت تلك اللوحة يا توماس ؟

- أنا ولاتيمر رأيناها .

- هذا عجيب .

9

كان اليوم هو 12 من أيلول ، قالت ماري إيلدن كمن تحدث نفسها : لم يبق سوى يومين .

وعضت شفتها على الأثر واحمر وجهها والتفتت إلى توماس وقالت : المعذرة لا أدري في الحق ما دهاني ، إنني طوال حياتي لم أتعجل انتهاء زيارة كما اتعجل انتهاء هذه الزيارة ، كنا دائما نرحب بنيفل وأودري ونستمتع بوجودهما معا ولكننا في هذه نشعر وكأننا نجلس فوق شحنة من الديناميت يمكن أن تنفجر في أي لحظة ولهذا السبب قلت لنفسي عندما استيقظت هذا الصباح : لم يبق سوى يومين ، فأودري سترحل يوم الأربعاء وسترحل كاي ونيفل يوم الخميس .

قال توماس : وأنا سأرحل يوم الجمعة .

- إنك لستَ في الحسبان فقد كُنتَ كالحصن المنيع ولا أدري ما كان باستطاعتي أن أفعل بدونك .

- إني لا أفهم لِمَ كل هذا التوتر إن أقصى ما يمكن أن يحدث هو أن يدور حوار عنيف أو أن يثور أحَد الأطراف وهذه أمور مألوفة في كل مجتمع .

- لكن المخاوف تتجسم حين تنتقل العدوى إلى الخدم أنفسهم ، فقد انفجرت أحدى خادمات المطبخ صباح اليوم باكية وأنذرتنا بترك العمل لغير ما سبب ، والطاهية

متوترة الأعصاب وكذلك هرستال رئيس الخدم حتى جين باريت نفسها تلك التي نصفها دائما أكثر ثباتا من بارجة حتى هذه المرأة القوية قد ظهرت عليها دلائل التوتر العصبي ، كل ذلك حصل بسبب فكرة سخيفة خطرت لنيفل وجعلته يحاول توثيق أواصر الصداقة بين زوجتيه الحالية والسابقة لكي يريح ضميره .

- وهي فكرة أثبتت فشلها تماما .

- بالتأكيد ، وإن كاي ثائرة وأنا لا أمتلك سوى احساس العطف عليها ، هل لاحظت كيف كان نيفل يتودد إلى أودري ليلة أمس ، أنه لايزال يحبها وقد كانت تصرفاته كلها خطأ ومحزنة .

- كان ينبغي عليه أن يفكر جيدا قبل أن يقدم على الطلاق ثم على الزواج .

- ذلك ما نقوله نحن جميعا ، لكن ذلك لا يغير من الواقع شيئا ، إنني أرثي له حقا .

- إن أولئك الذين على شاكلة نيفل يتوهمون أن بمقدورهم الظفر بكل ما يريدون ، وإني أعتقد أن قصته مع أودري كانت أول صدمة يصادفها في حياته وهاهو الآن يحصد ما زرع ، لقد فقدَ أودري إلى الأبد ولن يستطيع الوصول إليها مرة أخرى مهما حدث .

- أظنك على صواب ، ومع ذلك فقد كانت أودري تحبه عندما اقترنت به وكانا سعيدين معا .

- لكنها الآن لا تحبه .

تنهدت ماري إيلدن وقالت : من يعلم ؟

- ثمة شيء آخر ، يحسن بنيفل أن يكون على حذر من كاي ، إنها امرأة خطرة ومتى ما غضبت لن تقف عند حد ..

- على كل حال لم يبق سوى يومان .

وفي هذه اللحظة جاء نيفل قادما من البيت وبادرهما قاءلا : لا أصدق أننا في شهر أيلول فالحر يشتد يوما بعد يوم ، حتى لكأننا في منطقة إستوائية .

نهض توماس مبتعدا دون أن ينطق بأي كلمة .

قال نيفل وهو يشيعه ببصره : يخيل إلي أنه لا يطيق البقاء معي فيمكان واحد .

قالت ماري : لكنه شاب ظريف .

- إنني أخالفك الرأي ، إنه إنسان ضيق الأفق شديد التشاؤم .

- أظن أنه كان دائما يتمنى أن يقترن بأودري حتى جئت أنت وظفرت بها .

- كان لابد له من سبع سنوات على الأقل حتى يحسم رأيه ويطلب يدها ، وأي فتاة تستطيع الانتظار كل هذه السنين .

- لعل آماله تحققت الآن .

- هل تعتقدين أن أودري ترضى بالاقتران برجل عبوس كهذا ؟

- أعتقد أنها تميل إليه .

- إنكن يا معشر النساء أسوأ سماسرة للزواج ، ، لماذا لا تدعنها تنعم بحريتها بعض الوقت ألا تظنين أنها سعيدة بهذه الحرية ؟

- الحق إنني لا أعلم .

- وأنا كذلك لا أعلم ، وليس هناك من يستطيع أن يسبر أغوار مشاعرها ، .

وتريث لحظة ثم واصل قائلا : هي مخلوقة نبيلة ولقد كنت مغفلا حين تركتها .

مضت ماري للبيت وهي تقول لنفسها للمرة الثالثة : لم يبق سوى يومين .

أما نيفل فراح يطوف بالحديقة حتى رأى أودري جالسة فوق جدار منخفض يطل على البحر وحين أبصرته وثبت من مكانها وأقبلت نحوه وهي تقول : كنت أهم بالعودة إلى البيت فقد حان وقت تناولي الشاي .

قالت ذلك بسرعة ودون أن تنظر إليه ، فسار بجوارها وهو صامت إلى أن اقتربا من الشرفة التي تطل على الحديقة وحينئذ قال : هل أستطيع التحدث إليك يا أودري ؟

أجابته وهي تطبق بأصابعها على حاجز الشرفة : لعل من الأفضل ألا تفعل .

- معنى هذا أنك تعرفين ما أريد قوله ؟

فلم تجب .

قال : ما رأيك يا أودري ، هل نستطيع أن نصل ما انقطع أو أن ننسى ما حدث ؟

- بما في ذلك كاي ؟

- إن كاي سوف تفهم .

- ماذا تعني ؟

- سأصارحها بالحقيقة وأترك الأمر لكرمها ، سأخبرها أنك المرأة الوحيدة التي أحببتها .

- لكنك كنت تحب كاي حين تزوجتها .

- إن زواجي منها كان أكبر خطأ ارتكبته ، إنني ...

وكف عن الكلام حين رأى كاي تخرج من باب قاعة الاستقبال مقبلة نحوهما وشرر الغضب يتطاير من عينيها وقالت : يؤسفني أن أفرض نفسي على هذا المشهد المؤثر لكني أظن أنه قد آن لي أن أفعل ذلك .

قالت أودري وهي تبتعد : سأخلي لكما الجو .

صاحت كاي : هل نفثتِ سمومك وحققتِ أغراضك ، سيكون لي شأن معك فيما بعد أما الآن فسأسوي حسابيَ مع نيفل .

قال نيفل : اصغي إلي يا كاي ، إن أودري لا شأن لها بهذا أنا وحدي الملوم .

- أي رجل أنت بحق السماء ، تترك زوجتك وتقترن بي وتطارحني الحب في لحظة وتلفظني في اللحظة الثانية ، والآن تريد العودة إلى هذه القطة الباهتة التافهة المخادعة .

- اصمتي يا كاي .

- تكلم ماذا تريد بالتحديد ؟

فأجاب وقد فر لونه : اطلقي علي أقبح الصفات والأسماء ما شاء لك ، لكن ذلك لن يجدي نفعا ، إنني لا أستطيع الاستمرار معك وقد وضح لي أنني كنت أحب أودري طوال الوقت وأن حبي لك كان ضربا من الجنون ، إنني لا أصلح لك أيتها العزيزة ولا أستطيع إسعادك ومن الخير لنا أن نضع حدا للخسائر وأن نفترق كأصدقاء .

فسألته في هدوء مصطنع : ماذا تقترح إذن ؟

أجاب دون أن ينظر إليها : أقترح الطلاق .

- إن الطلاق يتطلب وقتا .

- سأنتظر .

- وحين يتم الطلاق بعد عامين أو ثلاثة أعوام هل ستطلب إلى أودري العزيزة اللطيفة أن تقترن بك مرة أخرى ؟

- نعم ، إذا وافقت .

صاحت في حقد : إنها ستوافق اطمئن ، ولكن ماذا سيكون من أمري ؟

- ستصبحين حرة ، سيكون بوسعك أن تجدي رجلا أفضل مني ، وطبيعي إنني سأرتب لك نفقة كبيرة تفي بكل احتياجاتك .

- لا تحاول رشوتي ، اصغ إلي يا نيفل إنني لن أطَلّق لقد تزوجتك لأني أحببتك وأنا أعرف متى بدأ نفورك مني ، بدأ حين صارحتك بأنَني تتبعتك إلى مدينة استوريل ، كنت تعتقد أن القدر هو الذي جمع بيننا فخُدِشَ كبرياؤك وخيلاؤك أن تعلم إنني أنا

التي دبرت اجتماعنا ، ولكني لا أشعر بالخجل مما فعلت إنك أحببتني واقترنت بي ولن أدعك تعود إلى تلك القطة الماكرة التي نشبت مخالبها فيك مرة أخرى ، إني أفضل قتلك على أن أدعك تعود إليها ، هل سمعتَ سأقتلك ثم أقتلها .

فأمسك ساعدها بعنف وقال : اصمتي اصمتي بحق السماء لا ينبغي أن تحدثي مثل هذه الفضيحة هنا .

- ولِمَ لا ، سوف ترى سوف ...

ولم تتم عبارتها إذ أقبل عليهما هرستال في تلك اللحظة وقال بهدوئه المألوف : لقد أُعِدَ الشاي في قاعة الاستقبال .

وأفسح لهما الطريق فانتقلا إلى قاعة الاستقبال ، أخذت السحب تتلبد في السماء .

10

بدأت الأمطار تنهمر قبل الساعة السابعة بقليل ، وقف نيفل عند نافذة غرفته وأرسل بصره نحو الحديقة ولم يكن قد دار بينه وبين كاي حديث عقب تناول الشاي وقد حرص كل منهما على تجنب الآخر ، وفي المساء تناول الجميع طعام العشاء في جو بالغ الكآبة إذ كان نيفل شارد طوال الوقت بينما كاي متجهمة الوجه رغم إسرافها في طلائه أما أودري فجامدة في مكانها كتمثال من الرخام ، وماري إيلدن تبذل قصارى جهدها لاجتذاب الضيوف إلى الحديث وتنظر إلى توماس رويد في ضيق لأنه لا يساعدها في مهمتها وحتى هرستال نفسه كان مضطرب الأعصاب ويداه ترتجفان وهو يضع الصحاف على المائدة .

بعد العشاء قال نيفل : إنني أفكر في الذهاب إلى إسترهيد لكي ألعب البليارد مع أدوارد لاتيمر .

قالت ماري : في هذه الحالة يحسن بك أن تأخذ مفتاح الباب الخارجي حتى يتسنى لك الدخول إذا عدت في وقت متأخر .

ثم انتقلوا إلى قاعة الاستقبال لتناول القهوة ، وأداروا جهاز الراديو لسماع نشرة الأخبار ، وكانت كاي لا تكف عن التثاؤب منذ غادرت قاعة الطعام ولم تلبث أن استأذنت في الانصراف لتأوي إلى فراشها .

وأصغى نيفل إلى نشرة الأخبار وبعض القطع الموسيقية ثم نهض ليذهب إلى إسترهيد وهنا سألته ماري : هل ستذهب بالسيارة أَم ستعبر النهر بالقارب ؟

- بل سأعبر النهر بالقارب إذ لا معنى لقطع 15 ميلا بالسيارة .

- ولكن المطر لا يزال ينهمر .

- لا بأس سأرتدي معطفي ، طاب مساؤكِ .

ولكنه ما كاد يخرج من البهو حتى لحق به هرستال وقال له : إن السيدة ترغب في التحدث إليك .

نظر نيفل إلى ساعته وقد كانت تشير إلى العاشرة فهز كتفيه وقصد إلى غرفة السيدة تريسليان ودق بابها وانتظر قليلا حتى سمع صوتها وهي تصيح : ادخل .

كانت السيدة قد تأهبت للنوم وأطفأت أنوار مخدعها ولم يبق مضيئا منها إلا المصباح الصغير الذي كانت تستعين به في القراءة .

دخل نيفل غالقا الباب وراءه ، ونحت السيدة الكتاب الذي كانت تقرأه جانبا ، ، ورمقت نيفل بنظرة صارمة قائلة : أريد أن أتحدث إليك يا نيفل .

فرد عليها مبتسما : هاأنا ذا مصغٍ إليك يا سيدتي الناظرة .

لكن السيدة لم تبتسم وقالت : ثمة أشياء لا أسمح بها في بيتي يا نيفل ، إنني لا أسترق السمع على أحد ولكن عندما تصر أنت وزوجتك على الصياح تحت نافذتي فإنني لا أملك خيار سوى سماع ما تقولان وقد فهمت مما سمعت إنك تفكر في طلاق كاي لكي تقترن مرة أخرى بأودري ، وهذا الأمر لا ينبغي أن تفعله ولا أريد أن أسمع عنه .

فبدى نيفل وكأنه يحاول السيطرة على غضبه وقال بإيجاز : إنني أعتذر عن صياحنا تحت نافذتك ، أما فيما يتصل بما ذكرْتِه بشأن طلاقي وزواجي فإن أعتبره من من شؤوني الخاصة .

- لا ، إنه ليس من شؤونك الخاصة ، إنك استخدمت بيتي للاتصال بأودري وإن أودري هي التي ...

فقاطعها نيفل قائلا : إن أودري لم تفعل شيئا في هذا الصدد .

- مهما يكن من أمر يا نيفل فإن كاي هي زوجتك وإن لها عليك حقوقا ليس بوسعك أن تحرمها منها أو أن تنكرها عليها ، وأنا أصارحك بأنها مسؤوليتك ويجب أن يكون ذلك واضحا .

هنا خطا نيفل نحوها خطوة وصاح : لا شأن لك بهذا .

لكنها لم تحفل باحتجاجه ومضت تقول : وأكثر من ذلك إن أودري ستغادر هذا البيت غدا .

- هذا ما يجب ألا يحدث ، إني لا أسمح بذلك .

=- لا تصرخ في وجهي يا نيفل .

- قلت لك إني لا أسمح بذلك .

وفي مكان ما من الدهليز سمعا صوت باب يُغلَق وذهبت الوصيفة إلى الطاهية السيدة سبايسر وقالت لها وهي زائغة البصر بادية الاضطراب : ماذا أفعل بحق السماء يا سيدة سبايسر ؟

- ماذا حدث ؟

- لقد حملت الشاي إلى الآنسة باريت منذ ساعة ولكنها كانت نائمة فلم أشأ إزعاجها ومنذ خمس دقائق ذهبت إليها مرة أخرى لأنها لم تحضر كالعادة لتحمل الشاي إلى السيدة ولكنها كانت لاتزال مستغرقة في نوم عميق وعبثا حاولت أن أوقظها ، لقد كان لون وجهها مخيفا .

- يا إلهي هل ماتت ؟

- لا ، إنها تتنفس لكن أنفاسها خافتة ومتقطعة .

- حسنا سأذهب إليها بنفسي وعليك أن تحملي الشاي إلى السيدة .

حملت إليس بنتهام صفحة الشاي وانطلقت بها إلى غرفة السيدة وطرقت الباب مرتين ولما لم تسمع جوابا فتحت الباب ودخلت وبعد لحظة سُمِعَ صوت سقوط أقداح وأطباق وتهشمها واندفعت إليس بنتهام من مخدع السيدة تريسليان مهرولة وراحت تهبط السلم وهي تصرخ في فزع كما لو كانت قد رأت شبحا ووجدت هريستال ينظف البهو فصاحت به : يا سيد هرستال لقد دخل لصوص وقتلوا السيدة ، إن في رأسها ثقبا كبيرا والدم في كل مكان .

الفصل الرابع

التحقيق

1

استمتع المفتش باتل بإجازته كل الاستمتاع لكنه أصيب بخيبة أمل في الأيام الثلاثة الأخيرة حي اضطرب الجو وهطلت الأمطار .

كان باتل ، يتناول طعام الإفطار مع ابن أخيه المفتش ليتش حين دق جرس الهاتف ، تناول ليتش السماعة وأصغى طويلا ثم قال : سأحضر فورا يا سيدتي .

وضع السماعة في مكانها فقال باتل : حيث لاحظ تجهم وجه ابن أخيه : ثمة شيء خطير ؟

- جريمة قتل ذهبت ضحيتها السيدة تريسليان ، وهي سيدة عجوز معروفةفي هذه المنطقة ، إنها صاحبة القصر القائم فوق الربوة في سولتكريت .

أطرق باتل برأسه واستطرد ليتش قائلا : سأذهب الآن لمقابلة مدير بوليس المنطقة إنه صديق للسيدة القتيلة وسننطلق معا إلى القصر .

وحينما وصل إلى الباب التفت إلى عمه وقال بلهجة المتوسل : هل أستطيع الاعتماد على معونتك في التحقيق بهذه القضية يا عماه إنها أول قضية من نوعها بالنسبة إلي ؟

- سأعاونك ما دمت هنا ، هل هي قضية سطو وقتل ؟

- لا أعلم بعد .

2

بعد نحو نصف ساعة كان العقيد روبرت ميتشل يتحدث إلى ليتش بلهجة جدية : قائلا : من الواضح إن الجريمة قد ارتكبها شخص أو أشخاص من المقيمين في القصر ،

إذ لا يوجد أي أثر يدل على سطو من الخارج كانت جميع النوافذ والأبواب مغلقة في الصباح .

ثم التفت إلى باتل وقال : إذا اتصلت بأسكتلانديارد فهل تظن أنهم يوافقون على إعارتك للتحقيق في هذه القضية ، إنك موجود في المنطقة فعلا ، ثم إن هناك صلتك الوثيقة بالمفتش ليتش فإذا وافقت فسيكون معنى ذلك إنهاء إجازتك .

قال باتل : لا مانع لدي يا سيدي وحسبك أن تتصل بالسيد آتجار كوتوني مدير أسكتلانديارد إنه صديقك أليس كذلك ؟

- بلى ، وأعتقد أني أستطيع إقناعه ، سأتصل به .

- هل تظن أنها ستكون قضية مهمة يا سيدي ؟

- مهما سيكون أمرها فإنني لا أريد أن يحدث أي خطأ في سير التحقيق أو في توجيه الاتهام .

وقف باتل وليتش بباب المخدع الفخم وبداخل المخدع كان أحد ضباط الشرطة يفحص البصمات على مقبض مضرب للجولف ملوث بالدماء وقد علقت به بعض شعيرات بيضاء ، بينما إنحنى الدكتور لازنبي طبيب شرطة المنطقة فوق جثمان السيدة تريسليان .

وأخيرا اعتدل الطبيب وقال :إنها ضُربت من الأمام بقوة فهشمت الضربة الأولى الرأس وأحدثت الوفاة ولكن القاتل استمر يضرب للتأكد من القضاء عليها .

فسأله ليتش : ومتى حدثت الوفاة ؟

- بين الساعة العاشرة ومنتصف الليل .

- ألا تستطيع تقريب المدة الزمنية ؟

فأجاب الطبيب : إذا وضعت جميع العوامل في الاعتبار فإنني لا أستطيع أن أقول سوى أن الجريمة قد وقعت في وقت لا يقل عن الساعة العاشرة ولا يتجاوز منتصف الليل .

- وهل أداة الجريمة هي هذا المضرب ؟

- ذلك واضح ومن حسن الحظ أن القاتل تركه وإلا ما أمكن الاستدلال على نوع الأداة التي استخدمت ، ولابد أن القاتل وقف يمين الفراش إذا لا يوجد مكان كافٍ إلى اليسار .

- هل تعتقد إن القاتل كان أَعْسَر ؟

- لا أستطيع أن أقطع في ذلك برأي ، إن التفسير الواضح هو أن القاتل أعْسر ولكن

يحتمل أن تكون السيدة قد أدارت رأسها قليلا إلى اليسار حين همّ القاتل بضربها .

قال باتل في هدوء : ولكن هل نستطيع أن نقسم على أن هذا المضرب هو أداة الجريمة ؟

- لا أستطيع ، فقط يمكن أن أقسم على أنه ربما كان أداة الجريمة على أنني سأقوم بتحليل الدم العالق به للتحقق من أنه من فصيلة دم المجني عليها وكذلك سأقوم بفحص الشعيرات البيضاء .

قال باتل موافقا : نعم يحسن التحقيق من هذه الأمور .

- هل ترتاب من أن هذا المضرب هو أداة الجريمة أيها المفتش ؟

أجاب باتل : لا ، إنني رجل بسيط أؤمن بما أرى ، لقد ضُرِبت المجني عليها بأداة ثقيلة والمضرب ثقيل ، ثم أنه ملوث بالدم وعليه شعيرات بيضاء ، والدم والشعيرات لا شك أنها تعود للمجني عليها .وبذلك فالمضرب هو أداة الجريمة .

سأل ليتش : هل كانت المجني عليها نائمة حين ضُرِبت ؟

أجاب الطبيب : أعتقد أنها كانت مستيقظة فدلائل الدهشة تبدو على وجهها ورأيي الشخصي أنها لم تكن تتوقع ما حدث فلم تقاوم ولم تشعر بالخوف أو الهلع وأكبر الظن أنها كانت قد استيقظت لتوها فلم تدرك ما كان يحدث أو إنها عرفت في القاتل شخصا لا يمكن أن يقدم على إيذائها .

- ولم يكن مضاء سوى المصباح الصغير بجوار الفراش .

- نعم ، ولذلك دلالتان أما أن تكون السيدة قد شعرت فجأة بدخول أحد فأضاءت المصباح أو أنه كان مضاء قبل وقوع الجريمة .

وفي هذه اللحظة نهض الضابط جونز وهو أخصائي البصمات وقال مبتسما : إن البصمات واضحة على مقبض المضرب كل الوضوح .

فتنهد لتش بارتياح وقال : ذلك ييسر مهمتنا كثيرا .

قال الطبيب : لا شك أنه قاتل ظريف إذ ترك أداة الجريمة وترك بصماته عليها ، ومن العجب أنه لم يترك بطاقته .

قال باتل : لابد أنه فقدَ صوابه بعد الجريمة .

- ذلك محتمل ، سأذهب الآن لفحص المريضة الأخرى .

- أية مريضة ؟

- لقد اتصل بي كبير الخدم قبل اكتشاف الجريمة وقال لي إن وصيفة السيدة في حالة غيبوبة تامة .

- ماذا أصابها ؟

- لقد تناولت مخدرا قويا وقد كانت في حالة سيئة لكني أعتقد أنها ستنجو .

فغمغم باتل قائلا : وصيفة السيدة ؟!

واستقرت عيناه على شريط الجرس الذي يتدلى فوق وسادة السيدة تريسليان .

قال الطبيب : ربما أحست السيدة بخطر فبادرت إلى جذب هذا الشريط ولكن دون جدوى فقد كانت الوصيفة في حالة لا تسمح لها بسماع رنين الجرس .

- هل تعني أن الوصيفة خُدِّرت عمدا ، ألم تتعود تعاطي العقاقير المخدرة ؟

- لا ، لم أجد في غرفتها أثرا للعقاقير المخدرة ولكني وجدت أثر المخدر في قدح الشاي الذي تناولته في المساء ، وقد اعتادت أن تتناول الشاي قبل أن تأوي إلى فراشها .

- لا بد أن يكون القاتل ممن يعرف طباع أهل البيت جيدا .

وتم التقاط صور لغرفة النوم وللجثة وتسجيل الأبعاد والمساحات .

وحين خلا الجو للمفتش باتل وابن أخيه قال الأول : الآن يجب أن نحصل على بصمات أهل البيت جميعا ولكن في رفق وأدب دون إكراه وستكون النتيجة أحد أمرين ، إما أن بصماتهم لا تتفق مع البصمات التي وُجِدت على المضرب ، أو أن بصمات أحدهم تتفق وفي هذه الحالة .

- وفي هذه الحالة نكون قد وضعنا أيدينا على القاتل .

- أو على القاتلة .

هز ليتش رأسه وقال : إنها بصمات رجل فهي أكبر بكثير من بصمات أي امرأة ، ثم إن هذه الجريمة لا يرتكبها إلا رجل ، .

- نعم ، إنها جريمة وحشية لا يرتكبها إلا رجل قوي وعلى شيء من الغباء ، هل تعرف أحدا من أهل البيت تنطبق عليه هاتان الصفتان

- إنني لا أعرف أحدا هنا وهم الآن جميعا في قاعة الطعام .

- هلمّ بنا نذهب إليهم .

ألقى باتل على الجثة نظرة أخيرة وقال وهو يمضي إلى الباب : كانت غنية أليس كذلك ومن الذي سيرثها ؟

صاح ليتش : هذا أول ما يجب الاستدلال عليه فلعله يقودنا إلى معرفة القاتل .

نظر باتل إلى قائمة في يده وراح يقرأ الأسماء : الآنسة ماري إيلدن السيد رويد السيد سترينج السيدة سترينج السيدة أودري سترينج ، كثيرون يحملون اسم سترينج ،

إنهم على ما فهمت السيد ستارينج وزوجتاه .

كانت الأسرة مجتمعة حول مائدة الطعام فنظر المفتش باتل إلى وجوه أفرادها لتقييمهم بطريقة خاصة ، ولو عرفوا رأيه فيهم بعد هذه النظرة لَتولّتهم الدهشة ، كان رأيا متحيزا بصرف النظر عن المبدأ القانوني الذي يعتبر الناس أبرياء إلى أن تثبت إدانتهم .

كان باتل ، ينظر إلى كل شخص فيهم ضمن محيط الجريمة باعتباره قاتلا وقد انتقلت عيناه من ماري إيلدن الشاحبة الوجه المتصدرة للمائدة وكأنها تمثال من الحجر إلى توماس رويد الذي يحشو غليونه وإلى أودري التي تراجعت بمقعدها إلى الوراء وبإحدى يديها قدح قهوة وباليد الأخرى لفافة تبغ ثم إلى نيفل الذي جلس مذهولا وراح يحاول اشعال سجارته بأصابع مرتجفة فزوجته كاي التي أسندت مرفقيها إلى المائدة وبدى شحوب وجهها واضحا رغم مساحيق التجميل التي طلت بها وجهها .

قال المفتش باتل لنفسه : إذا كانت هذه هي ماري إيلدن فإنها امرأة قوية الإرادة لا يمكن أن تُأخَذ على غِرة ، أما ذلك الرجل المتجهم الذي يجلس بجوارها فإنه يعاني مركب نقص ربما بسَبب أصابة ساقه بعاهة ، وأما المرأة التي تمسك القدح فلابد أنها إحدى الزوجتين إنها توشك أن تسقط هلعا وهذا الرجل إنه السيد ستارينج لقد رأيته في مكان ما قبل الآن ، إنه متوتر الأعصاب فعلا ويكاد أن ينهار أما ذات الشعر الأحمر فهي امرأة سريعة الانفعال والغضب ولكنها ذكية .

وفي هذه الأثناء كانت ماري إيلدن تقدم الضيوف إلى المفتش ليتش ، وقالت في النهاية : إنما حدث كان صدمة شديدة لنا جميعا ، ونحن على استعداد لتقديم أي معونة تطلبونها منا .

قال ليتش وهو يعرض مضرب الجولف : دعوني أسألكم أولا هل يعرف أحدكم شيئا عن هذا المضرب ؟

فصاحت كاي في هلع : هذا مخيف ، هل هذا هو ....

وأمسكت عن إتمام عبارتها ، بينما نهض نيفل وهو يدور حول المائدة قائلا : كأنه يبدو أحد مضاربي ، هل تسمح لي بأن أراه ؟

أجاب المفتش : لا مانع الآن من أن تتناوله وتفحصه .

ولم تترك كلمة الآن أي أثر في نفوس الحاضرين .

تناول نيفل المضرب وفحصه وقال : يخيل إلي أنه أحد مضاربي ، وأستطيع أن أتحقق من ذلك بعد لحظة .

ثم نظر إلى ليتش وباتل وقال : تعالا معي .

وتقدمهما إلى دولاب كبير تحت درج السلم وفتحه .

ولقد دُهشَ باتل حين وجد الدولاب مليء بمضارب التنس وتذكر في ذات اللحظة أين رأى نيفلَ من قبل .

قال : سبق وأن رأيتك تلعب التنس في وينبلدون يا سيدي .

- آه أحقا ؟

وراح يُخرج مضارب التنس إلى أن تكشفت لهم حقيبتان في قاع الدولاب مليئتان بمضارب الجولف .

قال نيفل : لا يوجد هنا من يلعب الجولف سواي وزوجتي ، والمضرب الذي في يدك من النوع الذي يستخدمه الرجال ، نعم إنه مضربي .

- شكرا لك يا سيد سترينج هذا يكفي .

قال نيفل : ما يدهشني أن شيئا لم يُفقد من البيت وأنه لا يوجد ما يدل على أن هناك من حاول الدخول عنوة ، أما الخدم فإنهم جميعا فوق الشبهات .

قال ليتش : سوف أتحدث إلى الآنسة إيلدن بشأن الخدم ، أما الآن فإنني أرجو أن تذكر لي اسم محامي السيدة تريسليان إن أمكن .

- إنه السيد تريليوني ومكتبه في سانلو .

- شكرا لك يا سيد سترينج ، سوف نستفسر من السيد تريليوني عن ثروة السيدة .

- أتعني أنك تريد الاستفسار عمن يرثها ؟

- نعم ، أريد معرفة وصيتها وحجم ثروتها .

- أما الوصية فلا علم لي بها ، وأما ثروة السيدة الشخصية فإنها لا تكاد تُذكر ، ولكني أستطيع أن أحدد لك مجموعة الممتلكات .

- نعم .

- لقد أوصى زوجها السيد ماتيو تريسليان بجميع ثروته وممتلكاته إليها على أن تؤول بعد موتها إلي أنا وزوجتي .

هتف ليتش : أحقة ؟

ورمق نيفل بنظرة جعلته ينكمش واستطرد ليتش قائلا : هل تعرف مقدار الثروة يا سيد سترينج ؟

- لا أستطيع أن أتذكر قيمتها بالتحديد ، لكني أعتقد أنها حوالي مائة ألف جنيه .

- لكل منكما أنت وزوجتك ؟

- نعم لنا معا .

- مبلغ كبير .

فابتسم نيفل وقال بسرعة : أنا شخصيا أمتلك ثروة طائلة ولا حاجة بي لأموال الآخرين ، .

عاد الجميع إلى قاعة الاستقبال وهناك اتخذ المفتش ليتش خطوة ثانية وهي أخذ بصمات الأصابع فقال في هذا الصدد : إنها مسألة روتينية والغرض منها استبعاد ما لا يوجد منها في مخدع السيدة .

أبدى الجميع استعدادهم لإعطاء بصماتهم ، فذهب بهم المفتش ليتش إلى قاعة المكتبة حيث كان الضابط جونس في انتظارهم .

وشرع باتل وليتش بعد ذلك في استجواب الخدم ، فأوضح هرستال طريقته في غلق الأبواب وأقسم أنه وجدها في الصباح كما تركها في المساء وقال بأنه لم يوصد الباب الخارجي بالمزلاج لأن نيفل كان قد ذهب إلى فندق إسترهيد وكان من المحتمل أن يعود في وقت متأخر .

سأله ليتش : هل تعرف متى عاد ؟

- نعم ، عاد في حوالي الساعة الثانية والنصف صباحا فقد سمعت صوت وقوف سيارة ، ثم فُتِحت الباب ودخل السيد نيفل وصعد السلم .

- ومتى غادر هذا البيت ليذهب إلى الفندق ؟

- في حوالي الساعة العاشرة وعشرين دقيقة ، لقد سمعت غلق الباب الخارجي عقب انصرافه .

كانت هذه هي كل المعلومات التي استطاع ليتش أن يستقيها من هرستال ، أما الخادمات والوصيفات فكُنّ في حالة من الهلع جعل من المستحيل الوقوف منهن على ما يفيد التحقيق .

وحينما انصرفت آخر وصيفة نظر ليتش إلى عمه كي يستطلع رأيه فقال له : ادعُ الخادمة الطويلة القامة ذات العينين الجاحظتين ، إنه يخيل إلي أنها تعرف الشيئا .

جاءت الخادمة واسمها أماويلز فقال لها باتل : دعيني أُسْدي لك نصيحة مفيدة يا آنسة ويلز ، من الخير لك ألا تكتمي شيئا عن رجال البوليس لأن ذلك يجعلهم ينظرون إليك بعين الارتياب ، هل فهمتِ ما أعني ؟

- أؤكد لك أن ...

أسكتها باتل بأن رفع يده وقال : إنك رأيتِ أو سمعتِ شيئا فما هو ؟

- إن ما سمعته سمعه السيد هرستال أيضا ولكني واثقة أنه لا صلة له بالجريمة .

- ربما ، وماذا سمعتِ يا آنسة ؟

- كنت في طريقي إلى غرفتي بعد الساعة العاشرة ومررتُ بمخدع السيدة تريسليان وسمعتها والسيد نيفل يتحدثان بأصوات غاضبة لا تدع مجالا للشك في أنهما كانا يتشاجران .

- هل تذكرين شيئا مما قيل ؟

- إنني لم أكن أَسترق السمع .

- مفهوم ، ولكن من المؤكد أنك سمعت بعض الكلمات .

- كانت السيدة تقول أنها لا تسمح بأن يحدث شيء معين في بيتها وكان السيد نيفل يقول لها إن ذلك ليس من شأنها .

ولم يستطع باتل من الوقوف من الخادمةعلى أكثر من ذلك فإَذِنَ لها بالانصراف .

قال باتل لليتش : لا بد أن يكون جونس قد عرف الآن شيئا عن البصمات ، من الذي يقوم بتفتيش الغرف ؟

- الضابط وليامز .

وفي اللحظة التالية أطل وليامز برأسه من الباب وقال : يوجد شيء بغرفة السيد سترينج أريدكما أن ترياه .

فتبعاه إلى الجناح الذي يقيم فيه نيفل وهناك وجدوا على أرضية مخدع هذا الأخير كومة من الثياب تتألف من سروال أزرق وجاكيت من نفس اللون .

فسأله ليتش بحدة : أين وجدت هذه الثياب ؟

- كانت ملقاة في قاع الدولاب ، انظر إلى هذا يا سيدي .

وأشار إلى كُمَي السترة واستطرد قائلا : هل ترى هذه البقع الداكنة إنها بقع من الدم .

تبادل باتل وليتش نظرة ذات معنى وقال الأول : هل ثمة شيء آخر ؟

- توجد كمية كبيرة من الماء على أرض الغرفة .

- أتعني أنه غسل آثار الدماء عن يده بسرعة ؟ ولكن الماء قريب من النافذة وقد هطل المطر مدرارا ليلة أمس .

- ليس بالغزارة التي تصنع هذه البركة .

فصمت باتل وقد كان يتخيل صورة رجل تلوثت يداه وكماه بالدم فخلع ثيابه ودسها في أعماق الدولاب ثم راح يزيل بالماء آثار الدماء عن يديه .

نظر باتل إلى الباب في الجدار ، فقال وليامز : هذا الباب يؤدي إلى غرفة السيدة سترينج وهو مغلق .

- مغلق من هذا الجانب ؟

- بل من الجانب الآخر .

ففكر باتل لحظة ثم قال : دعنا نرى كبير الخدم مرة أخرى .

وجاء هرستال وكان متوتر الأعصاب ففاجأه باتل بقوله : لماذا لم تذكر لنا بأنك قد سمعتَ المشاجرة التي حدثت بين السيدة تريسليان والسيد سترينج ليلة أمس يا هرستال ؟

- الواقع أني لم أعرها أية أهمية فهي لم تكن مشاجرة بل مجرد خلاف ودي في الرأي .

- ماذا كان السيد سترينج يرتدي أثناء العشاء ليلة أمس ؟

فكر هرستال قليلا ثم قال : كان يرتدي ثوبا أزرق اللون .

فهز باتل رأسه مرارا ثم صرف هرستال في نفس الوقت الذي دخل فيه جونز بادي الانفعال وقال : لقد حصلت على بصماتهم جميعا ولا يوجد بينها سوى بصمات شخص واحد تماثل تلك التي وجدتها على يد المضرب .

سأله باتل : من هو ؟

- إن البصمات التي وجدتها على يد مضرب الجولف تعود للسيد نيفل سترينج.

اعتدل باتل في جلسته وقال : هذا يحسم الأمر .

تنهد العقيد ميتشل وقال : : يبدو أنه لا مفر من استصدار الأمر بالقبض عليه ، إن الأدلة أكثر من كافية إذ إن الدافع إلى الجريمة واضح ، وهو حصول سترينج وزوجته على ثروة العجوز وقد كان سترينج آخر شخص رآها على قيد الحياة ، وهناك شاهدان يقران أنهما سمعاه يتشاجر معها ، ثم إن هناك ثيابه الملطخة بالدماء وبصمات أصابعه التي لا يوجد سواها على يد المضرب .

قال ليتش : كنت دائما أحب السيد سترينج فهو رجل مهذب ورياضي وكثيرا ما التقيت به في هذه المنطقة .

قال باتل : وهل ثمة ما يمنع الرجل المهذب من أن يكون قاتلا ؟ على أن الشيء الذي

يثير قلقي هو المضرب .

هتف ميتشل : المضرب ؟

- نعم المضرب أو الجرس أو كلاهما ، .

- ماذا تعني ؟

- إذا كان السيد سترينج قد دخل المخدع وتشاجر مع السيدة بعد أن فقدَ أعصابه فأهوى على رأسها بالمضرب فمعنى هذا أن الجريمة لم تكن متعمدة أو مدبرَة ، ثم إذا كانت الجريمة غير مدبر لها مسبقا فلماذا حمل مضربالجولف في تلك الساعة من الليل ؟ ذلك إذا افترضنا أنه فقدَ أعصابه وهو ما استبعده فقد رأيته في ملاعبِ التنس من أهدأ اللاعبين وأقدرهم على ضبط مشاعرهم ، أما إذا كانت الجريمة مدبَرة بهدف الاستيلاء على ثروة العجوز فإن ذلك يتفق مع فكرة تخدير الوصيفة حتى لا تلبي رنين الجرس ولكنه لا يتفق مع حدوث المشاجرة واستخدام المضرب ، لو كانت الجريمة مدبرة لحرص على تجنب المشاجرة وتسلل إلى المخدع بينما الوصيفة مخَدَرَةوهناك يقتل العجوز ويزيل آثار الدماء عن المضرب ويعيده إلى مكانه ويصطنع من الأدلة ما يوحي بأن الجريمة ارتُكِبت بهدف السرقة

قال ميتشل : إن استدلالاتك لا تخلو من المنطق يا باتل .

- الشيء الوحيد الذي يقلقني هو المضرب ، كيف يمكن لشخص آخر أن يستخدم المضرب دون أن يزيل بصمات سترينج منه .

- ألا يحتمل أن يكون أداة الجريمة شيء آخر غير المضرب ؟

- نعم يا سيدي ، ولعل القاتل قد ارتكب الجريمة بأداة أخرى ثم وضع المضرب عمدا لاتهام سترينج ولقد ذكر الطبيب على سبيل الترجيح إن المضرب هو أداة الجريمة لأنه لم يجد أمامه أداة سواها .

- دعنا إذن نستبعد موضوع المضرب لنللناقش الدافع إلى الجريمة ، هل قتل السيد سترينج السيدة تريسليان لكي يرث ثروتها ؟

- إن الإجابة عن هذا السؤال تتوقف على معرفة مدى حاجة نيفل إلى المال لذلك أرى أن تبحث حالته المالية فإذا كان في مأزق مالي فإن الأدلة التي ضده تصبح أكثر قوة أما إذا كان في حالة مادية طيبة فإنه يتعين علينا أن نبحث عن الدوافع لدى ضيوف القصر الآخرين .

- - لعلك على حق يا باتل ولعل بعضهم أراد إثارة الشبهات حول سترينج ، ولكن هل لديك فكرة عما ينبغي علينا عمله الآن ؟

- الرأي عندي أن نستمر في اتهام نيفل سترينج دون أن نقبض عليه ، فلنلقي عليه

الأسئلة ولنرصد حركاته في ليلة الجريمة ونضيق عليه الخناق ونرى تأثير ذلك على الآخرين .

- هذا حسن ، وأرجو أن تتعاون مع ليتش في تنفيذ هذه الخطة .

- شكرا لك يا سيدي ، وبهذه المناسبة أسأل هل جاءك محامي السيدة تريسليان بما يفيدنا في التحقيق

- لا ، إنني أعرف المحامي تريليوني جيدا ، فقد اتصلت به تليفونيا وسيرسل إلي صورة من وصية السيد ماتيو وأخرى من وصية السيدة تريسليان ، ولقد علمت منه إن إراد السيدة الخاص من ربح سندات تملكها لا يزيد عن 500 جنيه في العام وإنها أوصت بهذا الإيراد إلى الآنسة ماري إيلدن وتركت بعض النقود لكل من كبير الخدم هرستال وجين باريت وصيفتها .

قال باتل : هاهم ثلاثة أشخاص يتعين علينا أن نراقبهم .

ابتسم ميتشل وقال : إنك ترتاب في كل إنسان يا باتل .

- هناك جرائم قتل كثيرة ارتُكبت طمعا في الحصول على مبالغ لا تتجاوز الخمسون جنيها ، إليك مثلا جين باريت إنها ستستفيد من وصية السيدة تريسليان أفلا يحتمل أن تكون قد تناولت المخدر عمدا لتبعد عنها الشبهات .

- إنها كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت وقد منعنا الطبيب من استجوابها .

- لعلها أسرفت في تناول المخدر نتيجة الجهل بمفعوله الخطير ، وما يقال عن جين باريت يصح أن يقال عن ماري إيلدن وهرستال .

- على كل حال أنا أترك الأمر لكما ، فامضيا في المهمة إلى نهايتها .

غادر المفتشان باتل وليتش مكتب ميتشل وعادا توا إلى القصر حيث وجدا الضابطين وليامز وجونس في انتظارهما .

قال الأول بأنه قام بتفتيش غرف الخدم ولم يجد بها ما يثير الشك وإنه أرسل ثوب نيفل سترينج إلى المعمل لتحليل بقع الدم ومعرفة فصيلتها .

وقال جونز : إنه احتجز ضيوف القصر في قاعة الطعام ولم يسمح لهم بمغادرتها .

وحينئذ التفت باتل إلى ليتش وقال له : عليك الآن باستجوابهم ، افعل ذلك بحزم وابدأ بنيفل سترينج .

انتقل المفتشان إلى قاعة المكتبة وجلسا أمام أحدى الموائد بينما اتخذ أحد رجال الشرطة في أحد الأركان ، واستعد لتسجيل كل ما يقال في التحقيق .

وجاء نيفل شاحب اللون متوتر الأعصاب فقال له ليتش : سألقي عليك بعض الأسئلة

عن تحركات ليلة أمس يا سترينج وأود أن ألفت نظرك إلى أنك لست مرغما على الإجابة عن هذه الأسئلة وإن من حقك أن تستعين بمحاميك إن شئت .

فأجاب نيفل بهدوء : سل ما شئت .

- كذلك يجب أن أحذرك أن ما ستقوله سيسجل عليك وسيكون دليلا أمام المحكمة .

فلمعت عينا نيفل وصاح في غضب : هل تهددني ؟

- كلا يا سيد سترينج إنني أحذرك .

فهز نيفل رأسه وقال :أظن أن هذه كلها اجراءات روتينية ، سل ما شئت .

- أخبرني ماذا فعلت أمس منذ تناولت طعام العشاء ؟

- بعد العشاء انتقلنا إلى قاعة الاستقبال وهناك أخذنا القهوة ثم استمعنا إلى نشرة الأخبار وبعض القطع الموسيقية ثم قررت الذهاب إلى فندق إسترهيد لمقابلة أحد أصدقائي .

- ما اسم هذا الصديق ؟

- أدوارد لاتيمر .

- هل هو أحد أصدقائك المقربين ؟

- إنه صديق وحسب وقد زارنا هنا وتناولنا الطعام معا .

قال باتل : ألم يكن الوقت متأخرا للذهاب إلى فندق إسترهيد ؟

- إن الفندق مفتوح طوال الليل .

- ولكن القوم في هذا القصر يأوون إلى الفراش في وقت مبكر أليس كذلك ؟

- بلى ، ولذلك أخذت مفتاح الباب الخارجي حتى لا يضطر أحد الخدم للسهر وانتظار عودتي .

- ألم تفكر زوجتك في مرافقتك ؟

- لا ، لم تفكر كانت كاي تشعر بالصداع فذهبت إلى غرفتها بعد العشاء .

- تكلم يا سيد سترينج .

- عندما هممت بمغادرة البيت جاءت جين باريت وصيفة السيدة تريسليان وقالت لي إن السيدة تريد التحدث إليك ، فذهبت إلى مخدعها .

- أعتقد أنك آخر من رأة السيدة على قيد الحياة يا سيد سترينج ؟

- أظن ذلك ، وكانت حينما رأيتها على أفضل حال .

- كم من الوقت قضيت معها ؟

- نحو 20 دقيقة أو نصف ساعة .

- ومتى غادرت البيت ؟

- حوالي العاشرة والنصف ، وقد لحقت بقارب العبور وذهبت إلى فندق إسترهيد حيث وجدت لاتيمر بعد أن بحثت عنه بعض الوقت ، وتناولنا شيئا من الشراب ولعبنا البلياردو ، ومر الوقت بسرعة فلم أستطع اللحاق بالقارب الذي ينتهي عمله في الساعة الواحدة والنصف صباحا فعرض علي لاتيمر مشكورا أن ينقلني بسيارته فيدور بي حول سولتنجتون أي مسافة 16 ميلا تقريبا ، وقد غادرنا الفندق في الساعة الثانية ووصلنا إلى هنا في الثانية والنصف فقصدت إلى غرفتي مباشرة ولم أر أو أسمع ما يريب ، كان الجميع نياما وفي الصباح سمعت الخادمة تصرخ .

- ما كان موضوع حديثك مع السيدة تريسليان ؟

- تحدثنا في أمور كثيرة .

- هل كان الحديث وديا .

- بالتأكيد .

- ألم يقم بينكما شجار ؟ من الأفضل أن تقول الصدق إذ بوسعي أن أذكر لك العبارات التي سُمِعت من حديثكما .

- قام بيننا خلاف في الرأي .

- ما سبب الخلاف ؟

- الواقع إنها شديدة الالتزام ، وتحب دائما أن تفرض إرادتها على الآخرين ، لقد اختلفنا في الرأي واحتدمت المناقشة بيننا ولكننا افترقنا صديقين واتفقنا على ألا نتفق .

- إنك عرفت صباح اليوم أن المضرب الذي استُخدِم في الجريمة هو مضربك فبماذا تفسر وجود بصماتك عليه ؟

- إنه مضربي ومن البديهي أن توجد عليه بصمات أصابعي .

- إن وجود بصماتك عليه يدل على أنك آخر شخص أمسك به .

- قد يكون هناك من استخدم قفازا حين أَمسَكَه .

- لو صح ذلك لمحا القفاز آثار بصماتك .

- لا أعلم ، حقا أنني لا أعلم .

- هل لديك ما تفسر به وجود آثار دماء على كُمَي ثوبك ؟

- آثار دماء ؟! هذا مستحيل .

- ألم يحدث كأن جرَحت يدك ؟

- لا ، لم يحدث ، إن كل هذا جنون إني أكاد لا أفهم شيئا .

قال باتل : إن الحقائق واضحة بما فيه الكفاية .

- ولكن لماذا أُقْدِم على ارتكاب جريمة كهذه ؟ إنني أعرف السيدة تريسليان منذ نعومة أظفاري .

- لقد ذكرت بنفسك أنك سترث ثروة طائلة بعد موتها .

- لكني لستُ بحاجة إلى النقود وباستطاعتي أن أثبت ذلك ، دعني أتصِل بمدير البنك الذي أتعامل معه وتحدث إليه بنفسك .

فوافق باتل وتم الاتصال التليفوني وتحدث ليتش إلى مدير البنك ، ثم وضع السماعة فسأله نيفل بلهفة : ماذا قال ؟

- قال إن لك رصيدا ضخما .

- أرأيت إنني لم أذكر سوى الحقيقة ؟

قال باتل بصوت رقيق : إن لدينا من الأدلة ما يبرر استصدار أمر باعتقالك يا سيد سترينج ولكننا لن نفعل ذلك لأننا نريد أن نُهيئ لك فرصة ممكنة لإثبات براءتك .

- معنى ذلك أنكم مقتنعون بأني مرتكب الجريمة ولا ينقصكم سوى معرفة الدافع إليها ؟

فتبادل المفتشان نظرة ذات مغزى ولزما الصمت فهتف نيفل : يا إلهي كأنني في حلم مزعج ..

3

عندما دخلت كاي قاعة المكتبة كانت تشعر بمزيج من الخوف والفضول ولكن ليتش استدرجها بلطف للحديث عن الليلة السابقة فقالت إنها شعرت بصداع فأوت إلى فراشها ولم تستيقظ إلا صباحا على صوت صراخ الخادمة .

وهنا تدخل باتل في الحديث وسألها : ألم يذهب زوجك إلى غرفتك للاطمئنان عليك قبل أن يغادر البيت إلى الفندق ؟

- لا ، لم يذهب .

- معنى ذلك أنك لم تريه منذ العشاء حتى صباح اليوم أليس كذلك ؟

- بلى .

- السيدة سترينج إنني لاحظت أن الباب الموصل بين غرفتك وغرفة زوجك مغلق فهل تعرفين من أغلقه ؟

- أنا أغلقته .

فصمت باتل وانتظرَ طويلا ، انتظر كما ينتظر القط خروج الفأر من جحره ، وقد كان صمته الطويل خير من عشرات الأسئلة إذ قالت كاي : فجأة لعل من الأفضل أن أصارحكم بكل شيء ، فقد سمع هرستال حديثنا ومن المحقق أنه سيفضي به إليكم إذا لم أفعل أنا ذلك . لقد نشب خلاف شديد بيني وبين فغضبت وقصدت إلى غرفتي وأوصدت ذلك الباب .

- واصلي حديثك .

- حسنا هل يهمك أن تعرف ؟ لقد تصرف نيفل تصرف إنسان أحمق وكذلك بسبب تلك المرأة .

- أية مرأة ؟

- زوجته الأولى ، إنها هي التي حملته على القدوم إلى هنا ، .

- لكي تقابلكِ ؟

- لا ، لقد زعم نيفل إن الفكرة فكرته وهذا غير صحيح ، فالفكرة نشأت عندما قابلها في لندن .

- وما هو غرضها ؟

- كانت تريداسترداده ، إنها لم تغفر له قط تركه إياها من أجلي فأرادت أن تنتقم ، وهذا هو انتقامها إنها لم تكف منذ وصولنا عن العمل على إغرائه واجتذابه إليها ، مستعينة في ذلك بصديقها القديم توماس روبد فراحت توهم نيفل بأن روبد يريد الاقتران بها وذلك لإثارة غيرته وبعث الحب في قلبه .

ثم كفت عن الكلام وهي تلهث من الانفعال والغضب فقال باتل : كنت أظن أنه سيُسَرٌ حين يعلم أنها ستجد السعادة مع صديق قديم لها .

- يُسَر ؟ إنه يتلظى غيظا .

- إذن هو مولع بها ؟

فأجابت بمرارة : نعم ، وهي حريصة على ألا تخبو نار حبه لها .

- ألم يكن بوسعكِ معارضة فكرة القدوم إلى هنا في أثناء وجودها ؟

- لم أشأ أبدو وكأني أغار منها .

- ولكنك كنت تغارين منها أليس كذلك ؟

- نعم كنت دائما أغار منها ، ومنذ البداية كنت أشعر وكأنها معي في البيت وكأنه بيتها وليس بيتي ، أعدت طلاء الجدران واستبدلت الأثاث ولكن دون جدوى .

- شكرا لك يا سيدة سترينج ، كان لابد أن نلقي عليك كل هذه الأسئلة خاصة وأنك سترثين مع زوجك 100 ألف جنيه .

فهتفت في دهشة : 100 ألف جنيه وسأنال منها 50 ألفا .

- هل كنتِ تعلمين بذلك ؟

- كنت أعلم أن السيد ماتيو قد أوصى بثروته لنيفل وزوجته بعد وفاة السيدة تريسليان ، ولكني لم أتوقع أن يكون الأرث بهذه الضخامة .

وبعد انصرافها نظر باتل إلى ليتش وقال : ما رأيك ؟ إنها فاتنة ولكنها ليست سيدة مهذبة ؟

ثم اُسْتُدعيَت ماري إيلدن فروت عن ما تعرفه عن أحداث الليلة الماضية وأيدت أقوال نيفل وأكدتَ أنها أوت إلى فراشها في الساعة العاشرة ، فسألها باتل : هل تعرفين من كان صاحب فكرة الجمع بين الزوجتين ؟

- إنه نيفل ، وقد أقر بذلك .

- ألم تكن السيدة أودري هي صاحبة الفكرة ؟

- لا لم تكن هي ..

4

كانت أودري ترتدي ثوبا باهت اللون أبرز شحوبها ولكنها كانت هادئة الأعصاب فلم تضطرب أو تتلعثم وأجابت عن أسئلة باتل بأنها ذهبت إلى فراشها في الساعة العاشرة وبأنها لم تسمع شيئا في خلال الليل .

قال باتل : المعذرة إذا أقحمت نفسي في شؤونك الخاصة ، ولكن هل تسمحين لي أن أسألك كيف اتفق وجودك في هذا القصر ؟

- إنني تعودت أن أقضي هنا هذا الشهر من السنة ، واتفقَ أن أبدى زوجي السابق رغبته في الحضور في نفس الشهر ، وسألني عما إن كان لدي مانع ؟

فأجبته إيجابا .

- هل كانت الفكرة فكرته ؟

- نعم .

-ألم تكن فكرتكِ ؟

- لا لم تكن فكرتي إطلاقا .

- لكنكِ وافقتِ .

- نعم نعم ، لم يكن من اللائق أن أرفض .

- ألا تحقدين على زوجك السابق ؟

- لا .

- إنك سيدة كريمة طيبة القلب .

فلم تجب ، فصمت طويلا على نحو ما فعل مع كاي ولكن أودري لم تكن كاي ، لم تكن ممن يغريهم صمت الآخرين بالكلام والثرثرة ، كان بوسعها أن تصمت طويلا ودون أن تبدو عليها بوادر القلق والاضطراب ، ولم يسع لباتل إلا التسليم بالهزيمة .

5

كان المفتش ليتش يهم باستدعاء توماس رويد لاستجوابه ، حين دق جرس التليفون فتناول السماعة وأصغى للمتكلم من الناحية الأخرى للخط ثم هتف : أهذا أنت أيها الطبيب ، تقول أنها قد استردت وعيها وتكلمت ، ماذا ؟

ثم التفت إلى باتل وقال : تعال يا عماه ، تعال واسمع .

فتناول باتل السماعة وأنصت طويلا ثم التفت إلى ليتش وقال : ادعُ نيفل سترينج .

وعندما دخل كان باتل يضع السماعة وكان نيفل ممتقع الوجه شارد البصر فقال باتل : هل تعرف شخصا يمقتك بكل ما فيه من قوة يا سيد سترينج ؟ هل آذيت أحدا

؟ فكر جيدا .

ففكر نيفل طويلا ثم قال :إذا كان هناك شخص آذيته فهو زوجتي الأولى ، لقد تركتها من أجل امرأة أخرى ، ولكني أنها لا تمقتني ، إنها ملاك .

- إنك رجل سعيد الحظ يا سيد سترينج ، إنك نجوت بمحض المصادفة .

- ماذا تعني ؟

- بعد أن غادرت أنت البيت ليلة أمس دقت السيدة تريسليان الجرس فذهبت إليها جين باريت ووجدتها على قيد الحياة ، وأكثر من ذلك ، إن جين باريت قد أبصرتك وأنت تهبط السلم وتغادر القصر ، ، لقد أفاقت الوصيفة من غيبوبتها وتكلمت .

- والمضرب وبصمات الأصابع ؟

- إنها لم تُقتَل بالمضرب ، الدكتور لازنبي غير مرتاح إلى أن المضرب كان هو أداة الجريمة ، إن السيدة قُتِلت بأداة أخرى ، وقد وُضِع المضرب لإثارت الشبهات حولك ، وربما كان القاتل قد سمع مشاجرتك مع العجوز ووجد الفرصة السانحة لتوريطك في الجريمة ، أو ربما ..

وصمت لحظة ثم سأل : من الذي يمقتك إلى هذا الحد يا سيد سترينج؟ ..

6

استقل باتل وليتش قارب العبور إلى إسترهيد ووصلا إلى الفندق في الوقت الذي كان فيه أدوارد لاتيمر يهم بالخروج ، وما أن قدما نفسيهما إليه حتى ابدى استعداده للتعاون معهما وقال : نعم جاء نيفل ليلة أمس وكان عابسا متجهما وقال لي أنه قد تشاجر مع السيدة .

قال باتل : لقد فهمت منه أنه بحث عنك بعض الوقت .

- نعم ، ولا أعلم لماذا فقد كنت جالسا في الردهة ولكنه قال بأنه لم يَرَني ، فربما أكون قد خرجت إلى الحديقة بضع دقائق .

- وماذا فعلتما بعد أن انتهيتما من لعب البلياردو ؟

- تحدثنا قليلا ثم فطن نيفل إلى أنه تخلف عن موعد العودة بقارب العبور ، فنقلته بسيارتي ووصلنا إلى القصر نحو الساعة الثانية والنصف .

- وهل ظل السيد سترينج معك طوال المساء ؟

- نعم ، ، وفي استطاعتك أن تسأل خدم هذا الفندق.

- شكرا لك يا سيد لاتيمر .

وعندما انصرف قال ليتش : ما غرضك من معرفة تحركات نيفل سترينج بعد أن ثبُتت براءته ؟

فابتسم باتل ، وهتف ليتش : آه فهمت ، إنك تريد التحقق من تحركات لاتيمر .

- أردت أن أعرف كيف قضى لاتيمر ليلة أمس ، الآن نحن نعرف أنه كان مع نيفل سترينج من الساعة الحادية عشر والربع حتى حتى بعد منتصف الليل ولكن أين كان قبل ذلك حين جاء سترينج ولم يجده .

وواصلا تحرياتهما مع مع عامل الباب والخدم وعمال المصعد وعلِما أن لاتيمر قد شُهِدَ في ردهات الفندق بين الساعة التاسعة والعاشرة وقالت لهما أحدى العاملات أنها قد رأتَه في مكتبة الفندق مع سيدة بدينة تدعى بيدروس ، وقررت هذه الأخيرة أنه كان معها حقا ، ولكنها تعتقد أن ذلك كان حوالي الساعة الحادية عشرة.

7

كان باتل يتفقد الغرف بنفسه حين توقف بغتة أمام باب مخدع أودري ، كان للباب مقبضان أحدهما وهو الأيمن يعلوه الصدأ ولآخر لامع براق قال وهو يشير إلى المقبض اللامع : أراهن أن المقبض يمكن نزعه بمجرد إدارته إلى اليسار .

فمد ليتش يده وأدار المقبض فانفصل من مكانه .

وهنا قال باتل : إذا فحصت هذا المقبض جيدا فستجد فيه آثار دماء ، لقد كان هذا المقبض هو أداة الجريمة .

ثم أطل من نافذة الغرفة وأجال البصر في الحديقة تحت النافذة ولم يلبث أن قال : يوجد شيء أصفر اللون يتدلى من غصن هذه الشجرة علي به ، فقد يكون له علاقة باللغز الذي نعالج حله ..

8

كان المفتش باتل يجتاز بهو القصر حين لحقت به ماري إيلدن وقالت له : هل

أستطيع التحدث إليك لحظة يا سيدي المفتش ؟

- بلا شك يا آنسة إيلدن .

فَفَتحَ باب قاعة الطعام ودلف إليها فتبعته ماري وبعد برهة قالت : أريد أن أقول لك شيئا أرى أنك ينبغي أن تعرفه ، .

وحدثته عن زيارة السيد تريفز وعن قصة الجريمة التي رواها ، وظهرت دلائل الاهتمام على وجه باتل وسألها : هل قال أنه يستطيع التعرف على ذلك الطفل الذي أطلق السهم ؟

- نعم ، ويبدو أن الطفل كانت له علامة مميزة ، فقد قال السيد تريفز إنه يستطيع التعرف عليه في أي مكان .

ثم حدثته عن موت تريفز المفاجئ في تلك الليلة .

فهتف باتل : هذا شيء جديد بالنسبة لي .

- ماذا تعني ؟

- أعني أن هذه أول جريمة تُرتكَب نتيجة وضع لوحة على باب مصعد .

فنظرت إليه في هلع وقالت : هل تظن أنها حقا ...

- إنها جريمة قتل بارعة وسريعة كان يمكن وبالتأكيد ألا تنجح ولكنها نجحت .

- هل قُتِلَ السيد تريفز لمجرد أنه كان يعلم ؟

- كان يعلم وكان بوسعه أن يرشدنا إلى ذلك الشخص ، إننا الآن نسير في الظلام ولكني أستطيع أن أقول لك يا آنسة إيلدن أننا أمام جريمة دُبِرَت ببراعة منذ وقت طويل .

وبعد انصراف ماري إيلدن قصد باتل إلى قاعة المكتبة ودق بابها وقد سمع صوت نيفل وهو يقول : ادخل .

وكان في القاعة رجل طويل قال عنه نيفل إنه السيد تريليوني المحامي .

قال باتل معتذرا : يؤسفني أن أزعجكما ولكن ثمة مسألة أريد أن أستوضحها ، إنني أعلم يا سيد سترينج سترث نصف ثروة السيد ماتيو ولكن من الذي يرث النصف الآخر ؟

- زوجتي .

- أعلم ذلك ، لكن أياً منهما ؟

- آه فهمت ، إن التي سترث النصف الآخر هي أودري ، فقد كانت زوجتي حين كتب السيد ماتيو وصيته أليس كذلك يا سيد ترليوني ؟

فأومأ ترليوني برأسه موافقا وقال : إن الوصية واضحة وتقضي بقسمة الثروة مناصفة بين السيد نيفل سترينج وزوجته ، والطلاق الذي حدث لن يغير من الأمر شيئا .

- هل أفهم من ذلك أن السيدة أودري سترينج تعلم بهذه الحقائق .

- بالتأكيد .

- والسيدة سترينج الحالية ؟

قال نيفل : أظن أنها لا تعرف ، الواقع أني لم أُحَدِّثها كثيرا في هذا الموضوع .

قال باتل يخيل إلي أنها أساءت فهم الموقف ، إنها تعتقد أن الميراث سيوزَع بينك وبين زوجتك الحالية .، إن هذا على الأقل ما فهمته منها صباح هذا اليوم ولذلك جئت الآن للوقوف على الحقيقة .

قال نيفل على كل حال أنا سعيد جدا من أجل أودري فقد كانت تعاني بعض الضيق ولكن أزمتها ستنتهي الآن .

- ولكني أظن أنها كان من حقها أن تحصل منك على نفقة ما بعد الطلاق .

قال نيفل : هناك يا سيدي شيء اسمه الكبرياء ، ولقد رفضت أودري بسبب كبريائها أن تقبل بنسا واحدا من النفقة الضخمة التي عرضتها عليها .

قال تريليوني : نعم إنه عرض عليها نفقة سخية ولكنها ردتها وأبت قبولها .

9

تناول ماكويرتر عشاءه في الفندق وخرج للنزهة ، وقادته قدماه للمرة الثانية في خلال ليلتين متتاليتين إلى الربوة التي حاول أن يلقي بنفسه منها إلى البحر قبل بضعة أشهر ، وكان الجو صحو والسماء صافية فأرسل بصره إلى القصر الكبير الذي يطل على النهر من ناحية وعلى البحر من الناحية الأخرى ، لابد أنه قصر السيدة تريسليان التي سمع بنبأ مصرعها في الفندق وقرأ ه في الصحف ،

وكان منصرفا إلى تأملاته حين رأى فجأة شبحا أبيض يندفع نحوه بسرعة وكأن آلاف الشياطين تطارده وكان يعرف معنى هذا الاندفاع اليائس فانبعث واقفا ووثب في أثر الشبح وأمسك به في ذات اللحظة التي أوشك فيها أن يهوي إلى البحر وهتف وهو يحيط الشبح بساعديه : لا ، لا ، لا .

وقاومه الشبح بقوة وفي صمت ولكن مقاومته لم تستمر طويلا وما لبثت قواه أن

خارت ، ووجد ماكويرتر بين يديه امرأة فاتنة نحيلة الجسم ، تبكي في صمت قال لها : لماذا تريدين أن توردي نفسكِ موارد التهلكة ، هل أنتِ تعيسة ؟

فأجابت بصوت خافت لاهث : إنني خائفة .

- خائفة مِنْ مَنْ ؟

- من الشنق .

- ولهذا تريدين أن ...

ولم يتم عبارته فقد رآها تغمض عينيها وأحس بجسدها يرتجف بين ذراعيه ، وبسرعة وذكاء استطاع أن يضع النقط فوق الحروف .

قال : أنتِ من قصر السيدة تريسليان ، السيدة التي قُتِلَت ، لابد أنك السيدة سترينج الزوجة الأولى ؟

فأومأت برأسها علامة الإيجاب .

قال في بطء وهو يحاول الاستدلال على الحقائق من الشائعات التي سمعها والتفصيلات التي قرأها في الصحف : لقد حامت الشبهات حول زوجك أليس كذلك ؟ ولكنهم وجدوا فيما بعد إن الأدلة زائفة وإنها اُصطُنِعَت عمدا لاتهامه .

كف عن الكلام ولاحظ أنها لم تعد ترتجف وهي تنظر إليه نظرة طفل وديع وقال : آه لقد فهمت إنه تركِكِ من أجل امرأة أخرى وكنت تحبينه .

قالت في حدة مقاطعة إياه : لا ، ليس الأمر كما تظن .

قال في حزم : عودي إلى بيتك ولا تخشي شيئا ، هل سمعتِ ، سوف أقف إلى جانبكِ إلى النهاية .

10

كانت ماري إيلدن متعبة وتشعر بألم الصداع يجتاح رأسها ، فتمددت على أريكة في قاعة الاستقبال ولم يكن في البيت أحد سواها هي والخدم ، فقد ذهبت كاي وأودري بسيارة لاتيمر إلى سولتنتجون لشراء ثياب الحداد ، بينما خرج نيفل وتوماس للنزهة ، وفيما هي تفكر في أحداث الأيام الأخيرة إذا بهرستال يقول لها : جاء رجل يطلب مقابلتك يا سيدتي وقد ذهبت به إلى قاعة المكتبة .

- ما اسمه ؟

- قال إن اسمه ماكويرتر .

- لا أعرف أحدا بهذا الاسم ولابد أنه أحد مخبري الصحف وما كان ينبغي أن تسمح له بالدخول .

- إنه صديق للآنسة أودري وليس مخبرا يا سيدتي .

- هذا أمر آخر .

وأصلحت من زينتها وقصدت إلى قاعة المكتبة ، ورأت هناك رجلا طويل القامة متجهم الوجه لا يمكن أن يكون صديقا لأودري ولكنها مع ذلك قالت له في لطف : يؤسفني إخبارك بأن السيدة سترينج ليست هنا الآن ، هل أردت مقابلتها .

فنظر إليها بامعان وقال في بطء : هل أنتِ الآنسة إيلدن ؟

- نعم .

- لا شك أنك تستطيعين مساعدتي ، إنني بحاجة إلى حبل .

فقالت في دهشة : حبل !

- نعم ، أين تضعون الحبال عادةً ؟

- في غرفة الأشياء المهملة .

وقادته إلى تلك الغرفة ، أجال ماكويرتر البصر في تلك الغرفة حتى استقرت عيناه على لفة كبيرة من الحبال موضوعة على أحد الصناديق فتقدم منها وأمسك بالحبل ثم التفت إلى ماري إيلدن وقال : أرجو أن تتذكري ما أقوله لك يا آنسة إيلدن ، إن التراب يغطي كل شيء في هذه الغرفة فيما عدا هذا الحبل فهل لك أن تلمسيه بيدكِ ؟

فأمسكت بالحبل وقالت : إنه مبتل .

- تماما .

ودار على عقبيه لينصرف ، فقالت له : ألا تريد الحبل .

- لا ، إنما أردت فقط أن أعرف مكانه وسوف أكون شاكرا إذا أغلقتِ باب هذه الغرفة وقدمتِ المفتاح للمفتش باتل أو المفتش ليتش .

- ولكني لا أفهم شيئا .

- ليس هناك ضرورة لأن تفهمي .

وشد على يدها شاكرا وانصرف وتركها في حيرة شديدة ، وبعد بضع دقائق عاد نيفل وتوماس وتلتهما في الحضور أودري وكاي بعد قليل

ولم يكد الجميع يفرغون من تناول طعام الغداء وينتقلون إلى قاعة الاستقبال حتى أعلن هرستال عن وصول رجال البوليس ،.

دخل المفتش باتل متألق الوجه وقال معتذرا : يؤسفني أن أزعجكم مرة أخرى ولكن يوجد أمر أو اثنان أود معرفة المزيد عنهما ، فمثلا قفاز من هذا ؟

- وأخرج من جيبه قفازا صغيرا من الجلد الأصفر وقال محدثا أودري : هل هذا قفازك يا سيدة سترينج ؟

- فهزت أودري رأسها وأجابت : لا ، إنه ليس قفازي .

- وأنت يا سيدة إيلدن ؟

- ليس لدي قفازات بهذا اللون .

قالت كاي : دعيني أراه .

وتناولت القفاز ففحصته وهزت رأسها سلبا .

فقال لها باتل : حاولي أن تجربيه .

فحاولت كاي ووجدته صغيرا وكذلك حاولت ماري إيلدن فكانت نفس النتيجة ، وهنا تحول باتل إلى أودري وقال لها : أظنه قفازكِ فيدك أصغر من أيديهما .

وضعت أودري يدها في القفاز فلاءمها تماما .

فقال نيفل في حدة : لقد قالت لك إنه ليس قفازها .

- لعلها فعلت ذلك عن سهو أو خطأ .

قالت أودري ربما كان قفازي ، ، إن القفازات تتشابه .

قال باتل : نحن على كل حال وجدناه على أغصان شجرة تحت نافذتكِ .

فوجم الجميع وفتحت أودري فمها ولكنها لم تنطق بكلمة ، وحينها صاح نيفل : اصغِ إلي يا مفتش باتل إن ...

لكن باتل قاطعه في هدوء قائلا : أريد أن أتحدث إليك على انفراد يا سيد سترينج ، هلمّ بنا إلى قاعة المكتبة .

وانتقل نيفل والمفتشان باتل وليتش إلى هناك وما أن أُغلِقَ باب القاعة حتى قال باتل : لقد وجدنا أشياء عجيبة في هذا البيت يا سترينج .

- أشياء عجيبة ! ماذا تعني ؟

فأومأ باتل إلى ليتش فغادر هذا الغرفة وعاد بعد قليل وفي يده أداة غريبة تناولها

باتل وقال : هذه أداة تتألف من كُرة من النحاس الثقيل هي في الواقع مقبض أحد الأبواب وقد وُضِعَ في تجويفها مضرب من مضارب التنس واستخدمت في قتل السيدة تريسليان .

- هذا مخيف ، ولكن أين وجدت هذه الأداة ؟

- إن الكُرة النحاسية في مقبض الباب كما ذكرت وقد قام القاتل بتنظيفها من الخارج بعد الجريمة ولكنه أهمل تنظيف تجويفها وقد وجدنا آثار دماء في التجويف ، وكذلك أعاد القاتل يد مضرب التنس إلى مكانها وألسقها بالمضرب بواسطة شريط طبي لاسق ثم ألقى به في الدولاب تحت درج السلم مع عشرات المضارب .

- يا لك من رجل بارع ، ألم تجد عليها بصمات أصابع ؟

- إن المضرب خفيف الوزن مما يدل على أنه مضرب السيدة كاي سترينج وقد وجدنا عليه بصمات أصابعها وكذلك بصمات أصابعك ، ، ولكننا وجدنا أيضا من الآثار ما يدل على أن شخصا يلبس قفازات قد أمسك به بعْدكما ، كذلك وجدنا بصمات أخرى على شريط طبي لاسق هي بغير شك بصمات الشخص الذي أعاد يد المضرب إلى مكانها بعد الجريمة ، ولن أقول الآن بصمات من هي فإن لدي ملاحظات أخرى أريد أن أُبْديها .

قال ذلك ثم صمت لحظة وعاد بعدها يقول : إنني أريدك أن تعد نفسك لمفاجأة يا سيد سترينج ، ولكن دعني أسألك أولا هل أنت واثق بأن السيدة أودري ليست هي صاحبة فكرة اجتماعكم في هذا القصر ؟

- إنها فكرتي أنا وليست فكرة أودري .

وفي هذه اللحظة فُتِحَ الباب ودخل توماس رويد وقال : يؤسفني أن أزعجكم ولكني أريد أن أكون في الصورة ، .

فنظر إليه نيفل في وجه عابس وقال : هذا اجتماع خاص أيها الصديق .

- ذلك لا يهمني ، لقد كنت مارا بالباب وسمعت اسم أودري يتردد .

- وما شأنك أنت بأودري ؟

- بل ما شأنك أنت ؟ إنني لم أصارح أودري بشيء ولكن في نيتي أن أخطبها .

وهنا سعل المفتش باتل وقال : لا أهمية لذلك يا سيد سترينج ، إنني أود أن ألقي عليك سؤالا آخر ، لقد جاء في تقرير معمل التحليل عن الثوب الذي كنت ترتديه في ليلة الجريمة أن وُجِدَ بعض شعيرات شقراء معلقة بأحد أزرار كُميه فهل تعرف كيف وصلت إليه ؟

- لعلها من شعري .

- لا ، إنها شعيرات طويلة من رأس سيدة .

- لابد أنها من رأس أودري ، لقد تذكرت الآن إن شعرها اشتبك ذات مساء بأحد أزرار كُم ثوبي .

- كانت هناك شعيرات أيضا على كتف الثوب وكذلك وُجِدَت على ياقة الثوب آثار مسحوق برامافيرا وهو مسحوق غلي الثمن ذو رائحة ذكية مما تستعمله السيدات في التجميل ،، إن السيدة كاي تستخدم مسحوق اسمه قبلة الشمس أما مسحوق برامافيرا .فإنه مسحوق السيدة أودري .

- ماذا تريد أن تقول أيها المفتش ؟

- أريد أن أقول أن السيدة أودري ارتدت ذلك الثوب هذا هوالتفسير الوحيد لوجود الشعيرات والمسحوق عليه ، ولقد رأيت القفاز يلائم يدها وكان ذلك قفاز اليد اليمنى وأما قفاز اليد اليسرى فهاهو .

وأخرج قفازا من جيبه ووضعه على المائدة فصاح نيفل في هلع : ما هذه البقع التي به ؟

- إنها آثار دماء يا ستارينج ، القفاز قفاز اليد اليسرى والسيدة أودري عسراء تستعمل يدها اليسرى ، لقد لاحظت ذلك حين رأيتها أول مرة وهي جالسة أمام مائدة الطعام ، وكان وضع فراش السيدة تريسليان وموضع إصابتها يدلان على أن القاتل شخص أعسر ، أما المقبض النحاسي فكان مقبض باب السيدة أودري ، إن كل شيء واضح يا سيد ستارينج وأصابع الاتهام تشير إلى شخص واحد .

- هل تريد أن تقول أن أودري دبرت كل هذه الخطة المحكمة بصبر وأناة ، وقتلت السيدة العجوز التي عرفتها كل هذه السنين لتحصل على نصيبها من الميراث ؟

- أنا لا أقول شيئا يا سيد ستارينج ولكنها الأدلة تتكلم ويجب أن تعلم إن هذه الجريمة إنما دُبِرَت أولا وأخيرا للكيد لك ، ومن الواضح أن السيدة أودري لم تكف منذ تركْتها عن التفكير في وسيلة للانتقام منك ، وربما خطر لها في وقت ما أن تقتلك ولكنها وجدت أن ذلك لا يكفي ففكرت في أن تدفع بك إلى المشنقة ، وحانت لها الفرصة حين تشاجرتَ أنت مع السيدة تريسليان فتسللت إلى غرفتك وارتدت ثوبك وقتلت السيدة وتركت مضرب الجولف في مكان الجريمة للإقاع بك ولم ينقذك سوى السيدة تريسليان حين دقت الجرس فأتتها الوصيفة ووجدتها ماتزال على قيد الحياة عقب انصرافك .

فدفن نيفل وجهه بين يديه وصاح : يا إلهي ، إنني لا أصدق ، إن تصورك للجريمة كله خطأ وأودري هي أنبل وأكرم امرأة رأيتها في حياتي .

فتنهد باتل وقال : أنا أناقشك فقط يا سيد ستارينج ، وغايتي من ذلك إعدادك

لتلقي الصدمة ، إنني أحمل أمرا بالقبض على السيدة أودري سترينج ، ويحسن بك أن تجد محاميا للدفاع عنها .

- هذا غير معقول !!.

قال توماس في هدوء : كفى يا نيفل ، ألا ترى أن المعونة الوحيدة التي من الممكن أن تقدمها لأودري هي أن تتخلى عن أوهامك عن الشهامة والفروسية وتقول الحقيقة؟

- الحقيقة ! ، أي حقيقة ؟

- الحقيقة عن أودري وأدريان ، .

ثم نظر إلى المفتش وقال : إن لديك فكرة خاطئة عن بعض الحقائق يا أيها المفتش إن نيفل لم يهجر أودري هي التي هجرته وهربت مع أخي أدريان ، وقد قُتِلَ أدريان في حادث سيارة وتصرف نيفل بشهامة ووافق على أن تطلب أودري الطلاق باعتباره هو المخطئ والملوم .

- لم أشأ أن يلطخ اسمها بالوحل ، ولكني لم أكن أعلم أن هناك من يعرف هذه الحقائق .

قال توماس : لقد حدثني أدريان بكل شيء في إحدى رسائله . ومن هنا ترى يا سيدي المفتش إنه ليس ثمة ما يدعو للحقد على نيفل بل على العكس إنها يجب أن تشعر نحوه بالوفاء والعرفان بالجميل وقد عرض عليها مبلغا كبيرا كنفقة ، لكنها رفضته ، وكان من الطبيعي إزاء مواقفه تلك ألا ترفض رجاءه بشأن مقابلة كاي .

قال نيفل : أرأيت يا سيدي المفتش إن هذا يُبْطل الدافع إلى الجريمة ، إن توماس على حق .

فقال باتل : الدوافع شيء والحقائق شيء آخر ، جميع الحقائق تؤكد أنها المُذْنِبة .

قال نيفل : لقد كانت كل الحقائق منذ يومين تؤكد أني المُذْنِب .

- بماذا تريد أن تقنعني يا سيد سترينج ؟ هل تريد إقناعي بأن هناك شخص ينقم عليكما فلما فشلت التهمة التي لفقها لك حولّها إلى السيدة أودري ؟ هل هناك شخص يمقتك أنت وزوجتك السابقة ؟

فقلّب نيفل كفيه دون أن يجيب .

قال باتل : لا جدوى من هذا الحوار يا سيد سترينج ، يجب أن أُؤدي واجبي .

وغادر القاعة مع ليتش وتبعهما توماس ونيفل إلى قاعة الاستقبال ونهضت أودري حالما أبصرتهم وتقدمت نحو المفتشين وقالت وهي تنظر في عيني باتل : أنت تريدني أليس كذلك ؟

- لدي أمر بإلقاء القبض عليكِ يا سيدة أودري وبتهمة قتل السيدة كاميلا تريسليان في يوم 12 أيلول الماضي ويجب أن أحذركِ بأن كل ما تقولينه سيسجل عليكِ ويُتخذ دليلا ضدكِ في المحكمة .

فتنهدت أودري وأشرق وجهها وقالت بارتياح : كم أنا مسرورة لأن كل شيء قد انتهى .

فصاح نيفل : أودري لا تتكلمي .

- ولِمَ لا يا نيفل ؟ كل هذا صحيح ولقد تعبت.

فنظر ليتش إلى عمه وأدهشه شرود ذهنه والذهول الذي ارتسم على وجهه وكان يحملق في وجه أودري وكأنه لا يصدق عينيه ، وفي هذه اللحظة الحاسمة أطل هرستال من الباب وأعلن قدوم السيد ماكويتر ،.

دخل ماكويتر بقدم ثابتة واتجه مباشرةً إلى باتل وقال : هل أنت مفتش الشرطة المنوط بقضية السيدة تريسليان ؟

- نعم .

- إن لدي أقوالا مهمة أريد الإدلاء بها ويؤسفني لعدم حضوري قبل الآن ، ولكن الحادث الذي رأيته ليلة الجريمة لم يتبين لي خطورته إلا اليوم ، هل أستطيع التحدث إليك على انفراد .

وهنا اقترب ليتش من عمه وهمس في أذنه كلاما .

اقتاد باتل ماكويتر إلى قاعة المكتبة وهناك قال له : يقول زميلي أنه رآك قبل الآن كان ذلك في الشتاء الماضي ، لقد ألقيت بنفسك من فوق ربوة إيسترهيد ؟

- نعم إنني حاولت الانتحار في شهر كانون الثاني الماضي بأن ألقيت بنفسي من فوق ربوة إيسترهيد ، وخطر لي منذ أيام أن أزور البقعة التي أوشكت أن أُنْهِي فيها حياتي ، كان ذلك يوم الاثنين الماضي وفيما كنت أنظر إلى الأفق عبر خليج إيسترهيد إذ رأيت شيئا أعتقد أن له صلة بالجريمة وإليك ما رأيت ..

11

عندما عاد المفتش باتل إلى قاعة الاستقبال لم يكن وجهه يعبر عن شيء ، قال محدثا أودري : أرجو أن تأخذي بعض ما تحتاجين إليه من أمتعة وسيرافقك المفتش ليتش إلى غرفتك ..

فقالت ماري إيلدن : سأذهب معها .

وخرجت المرأتان مع ليتش ، .

قال نيفل يُحَدِّث باتل : ماذا قال لك ذلك الرجل ؟

- أتعني ماكويتر ؟ لقد روى لي قصة عجيبة !

- ألم يقل لك شيء يفيد أودري ؟ وهل أنت مصمم على اعتقالها ؟

- إنني أؤدي واجبي يا سيد سترينج .

- إذن يجب أن أتصل بالمحامي تريليوني .

- لا داعي للعجلة يا سيد سترينج ، سأقوم بتجربة معينة أولا على ضوء القصة التي رواها ماكويتر ،إنني أنتظر فقط حتى ترحل السيدة أودري .

وشُهِدَتْ أودري في هذه اللحظة وهي تهبط السلم مع المفتش ليتش ، وكان وجهها هادئا لا أثر فيه للانفعال فهتف نيفل : أودري .

فرمقته بنظرة باهتة وقالت : إنني بخير يا نيفل ولست أبالي بشيء .

وقف توماس رويد بالباب كأنما ليحول دون خروجها فنظرت إليه وابتسمت وغمغمت قائلة : توماس المخْلِص .

فقال : إذا كان هناك ما يمكن عمله ...

- لا أحد يستطيع أن يفعل شيئا .

وخرجت مرفوعة الرأس إلى حيث كانت سيارة البوليس في انتظارها .

بعد قليل قال المفتش باتل : قلت أن هناك تجربة يجب أن أقوم بها إن ماكويتر ينتظرنا في زورق العبور فهَلِمّوا بنا جميعا ، تعال معنا يا سيد لاتيمر ..

الفصل الخامس

ساعة الصفر

كان الهواء بارد فضمت كاي معطفها حول جسدها وانطلق الزورق البخاري يشق عباب الماء حتى اقترب من الربوة التي حاول ماكويتر الانتحار منها فيما مضى ، وهناك أوقف باتل الزورق وقال بصوت من يتحدث إلى جماعة من أصدقائه : لقد كانت هذه القضية من أغرب القضايا التي مرت بي ولذلك أريد أن أمهد لها بكلمة عن جرائم القتل بصفة عامة ، إنكم حين تقرؤون عن الجريمة سواء خيالية أو واقعية تبدؤون بالجريمة ذاتها وهذا خطأ ، لِإنّ الجريمة هي ذرو ظروف وعوامل مختلفة تتلاقى في وقت معين وفي مكان معين وأبطالها هم أناس مختلفون يأتون من شتى أنحاء العالم لأسباب غير متوقعة ، فالسيد توماس رويد مثلا جاء من الملايو والسيد ماكويتر جاء لزيارة مكان حاول الانتحار فيه ، أما الجريمة ذاتها فكانت في خانة القصة كانت ساعة الصفر .

وتريث قليلا ثم قال : نحن الآن في ساعة الصفر .

فتحولت إليه عدة وجوه عليها علامات استفهام وقالت ماري إيلدن : هل تعني أن مصرع السيدة تريسليان كانت خاتمة ظروف مختلفة اجتمعت للقضاء عليها ؟

- لا يا آنسة إيلدن ، إن مصرع السيدة تريسليان كان حادثا عرضيا في طريق القاتل إلى هدفه الرئيسي ، والهدف الرئيسي للقاتل هو القضاء على أودري سترينج ، وقد دُبِرَت الجريمة منذ وقت طويل ولم يغفل القاتل عن أدق التفصيلات وكان الهدف أن تُشْنَق أودري حتى تموت ، وبدأ المجرِم خطته باصطناع طائفة من الأدلة لإدانة نيفل سترينج ووضع في حسابه أننا متى أمطْنا اللثام على زيف هذه الأدلة فإننا لن نتوقع أن يتكرر نفس الشيء فيما يقدم إلينا من أدلة ضد أودري سترينج ، والواقع إن جميع الأدلة التي ظهرت ضد أودري هي مما يمكن اصطناعه ، فمن السهل جدا انتزاع مقبض بابها وسرقت قفازها ومساحيقها وكان طبيعيا أن توجد على الشريط الطبي اللاسق الذي تستعمله ، بصمات أصابعها ، ثم جاء الدليل الدامغ الأخير وهو اعتراف أودري نفسها ، وأنا لم أكن لأصدق بعد اعترافها أنها بريئة لولا أن لي تجربة شخصية في هذا المجال ، وعندما رأيتها وسمعتها تذكرت على الفور فتاة أخرى فعلت نفس الشيء ، اعترفت بجريمة لم ترتكبها ، لقد خيل إلي في تلك اللحظة أن أودري سترينج تنظر إلي بعين تلك الفتاة على أنني أديت واجبي كشرطي وقبضت عليها ، قبضت عليها وأنا أبتهل إلى الله في

سري أن يرسل معجزة تنقذ هذه السيدة المسكينة ، وجاء السيد ماكويتر فكان هو المعجزة المنشودة .

نظر باتل إلى ماكويتر وقال : أرجو أن تعيد رواية القصة التي رويتها لي في القصر .

تكلم ماكويتر بإجاز فذكر حادث محاولة الانتحاره ، وكيف جاء لزيارة المكان الذي كاد أن يشهد مصرعه ، ثم قال : وفي ليلة الاثنين الماضي كنت أقف فوق الربوة وكانت الساعة الحدية عشرة تقريبا فحانت مني التفاتة إلى قصر السيدة تريسليان ورأيت حبلا متدليا من إحدى النوافذ ورجلا يتسلق الجدار مستعينا بهذا الحبل ، .

فقال باتل : إن الجدار الذي تسلقه الرجل يطل على النهر ولم تكن هناك قوارب بمعنى أن الرجل لابد أن يكون قد عبر النهر سباحة ، ونحن نعلم أن شخصا كان على الضفة الأخرى للنهر في تلك الليلة ، شخص لم يره أحد فيما بين الساعة العاشرة والنصف والحادية عشرة والربع ، وربما كان لهذا الشخص صديق في القصر أدلى إليه بالحبل ، أظن أن ذلك واضح ومفهوم يا سيد لاتيمر ؟

فصاح لاتيمر : لكني لا أعرف السباحة والجميع هنا يعلمون ذلك .

- أحقاً ؟

قال ذلك وهو يدفع لاتيمر إلى الماء .

فصرخت كاي في هلع : يا إلهي ، إنه لا يعرف السباحة .

فأتى نيفل بحركة كأنما ليقذف بنفسه إلى الماء لينقذ لاتيمر ولكن باتل أمسك بساعده بقوة وقال في هدوء : لا ضرورة لذلك يا سيد سترينج إن رجالي سينقذونه .

وأطل إلى الماء واستطرد قائلا بعد لحظة : نعم إنه لا يعرف السباحة وسوف أعتذر إليه ، الواقع أنه لا توجد وسيلة لاختبار قدرة الشخص على السباحة أفضل من إلقائه في الماء ، هذا عن السيد لاتيمر ، أما السيد توماس رويد فإنه بطبيعة الحال لا يستطيع أن يتسلق الحبل والسباحة لإصابة ساقه ، وهكذا لا يبقى الآن أمامنا سواك يا سيد نيفل سترينج ، إنك رجل تجيد لعب التنس والجولف والسباحة وتسلق الجبال ، صحيح أنك استقليت زورق العبور في الساعة العاشرة والنصف ولكن لم يراك أحد في فندق إيسترهيد قبل الساعة الحادية عشرة والربع .

فضحك نيفل وقال : هل تعتقد أني عبرت النهر سباحة وتسلقت الجدار مستعينا بالحبل ؟

- مستعينا بالحبل الذي أدليته بنفسك من نافذة غرفتك .

- ثم قتلْتُ السيدة تريسليان وعبرْتُ النهر مرة أخرى ، لماذا أفعل ذلك بحق السماء

؟ ومن اصطنع كل هذه الأدلة ضدي ، هل تزعم أني اصطنعتها بنفسي ؟

- تماما وهي فكرة رائعة .

- وما الذي يدعوني إلى قتل السيدة تريسليان ؟

- لا شيء ، ولكنك كنت تريد شنق المرأة التي هجرتك إلى أحضان رجل آخر ، إنك مختل الشعور منذ كنت طفلا ، لقد فحصت بنفسي ملف قضية القوس والسهم وعرفت حقائق كثيرة منها أنك لا تطيق الإهانة والإيذاء وإن عقوب الإهانة والإيذاء عندك الموت ، ، ولكن الموت وحده لم يكن كافيا لأودري ، أودري التي أحببتها قبل أن يتحول حبك لها إلى كراهية ولذلك فكّرتَ بأن تهيئ لها ميتة خاصة ولن يهمك في سبيل تنفيذ هذه الفكرة قتل السيدة التي كانت لك بمثابة أم .

- كذب ، كل هذا كذب إنني لست مجنونا .

- إنها طعنت كبرياءك في الصميم حين هجرتك من أجل رجل آخر ، ولكنك حاولت إنقاذ ما يمكنك إنقاذه من بقايا كبريائك فزعمت أمام الناس إنك أنت الذي هجرتها واقترنت بامرأة أخرى ، وبدأت تخطط للقضاء عليها ولم تجد لها عقابا أسوأ من الشنق ، وكانت خطة رائعة ولكنك لم تحسن تنفيذها كما ينبغي ولابد أن أودري أحست منذ البداية بما تضمر لها ، وإنها كانت تضحك في سرها من سذاجتك .

فصاح نيفل : إنني لست ساذجا ، أنت نفسك قلت إنها كانت خطة بارعة ولكن من كان يتوقع أن يراني ذلك الوغد الأسكتلندي أو أن يكون توماس رويد على علم بحقيقة ما حدث بين أودري وأدريان ، أودري لعنة الله عليها إشنقوها ، يجب أن تُشْنَق إنني أمقتها وأريدها أن تموت .

ودفن وجهه بين كفيه وراح يبكي كالأطفال ...

تمت

جدول المحتويات

الفصل الأول
الفصل الثاني
الفصل الثالث
الفصل الرابع
الفصل الخامس